

روايات عبير



فيوليت وينسبير

خاتم الانتقام



www.rivaya.ga

مكتبة رواية

خاتم الانتقام

مكتبة رواية

www.rivaya.ga

قناة روايات عبر على تليجرام

<https://t.me/aabiir>

رائعة فيوليت وينسبير

خاتم الانتقام

العدد 121

روايات عبير القديمة

الملخص

الإخلاص يجعل الإنسان يسير بحياته ومواقفه

أحيانا الى درجة التضحية بالذات ..

دونا الوردة البيضاء , الآتية من بلاد

الضباب الى ايطاليا , للعمل كسكرتيرة

للممثلة المشهورة سيرافينا نيري , تلتقي في

روما رجلا غامضا , يعلق في أذنه (خاتم

الانتقام) , لفّها بسحره

الصقلي.....كلمها عن الأسرار وهي لا

تعرف عنه شيئاً حتى اسمه بل تخاف منه فتقرر
محوه من فكرها.

ريك لورديتي يعمل حارساً شخصياً للممثلة
سيرافينا ، مخلص لها لدرجة الموت ، ضحى
بشبابه من أجل حمايتها ، بينهما أسرار لا
تستطيع دونا كشفها ، علاقتهما غريبة
ومشبوهة ، حتى أدوني ابن سيرافينا يكره
ريك ويخاف منه ، تقرر دونا الرحيل والهروب
، فهو ليس لها.... بل لسيرافينا التي تكبله
بالسلاسل ، لكن ريك يمنعها من الرحيل ،

وتأتي يد الحب لتزرع الأقنعة... ويبزغ فجر

جديد على قرارات دونا.

1 - الغامض من جزيرة الليمون!

جلست دونا هدسون تتأمل ذلك المنظر الطبيعي الخلاب بدهشة و إعجاب شديدين , كانت سيارة الأجرة القديمة تجتاز تلك الطرقات الضيقة صعودا , حتى بدت كأنها معلقة في الهواء , فوق مجموعة كبيرة من الصخور البحرية الضخمة , لم يد على السائق الإيطالي أي توتر أو أزعاج إطلاقا , وكان يوجّه إليها بين الحين والآخر ملاحظات

لم تفهمها ولكنها تصوّرت بأنها تطمينات
اليها.

شعرت دوناً في تلك المناطق الجبلية الوعرة
بأنها خلّفت المدينة وراءها ... في تلك
المنحدرات المنخفضة لجنوب إيطاليا , حيث
كروم العنب وحقول الزيتون واللوز وبساتين
الفاكهة , أما في تلك المرتفعات , فلم تكن
هناك سوى البرية والعظمة , أحست دوناً
بروعتهما ز وبالخوف منهما , وفجأة
أدار السائق وجهه الى الورا وقال لها:

" فيللا أمبراتورى ".

توتّرت أعصابها بعض الشيء لمجرد علمها
بأنها على وشك الوصول الى المكان الذي
تقصده , لم تتوقع أن يكون منزل الممثلة
المتقاعدة سيرافينا نيري في هذا الجزء من
ايطاليا , كانت تتصوره فيللا جميلة في
ضواحي روما الغنية قصرا فخما تحيط
به التماثيل البيضاء والنوافير المنعشة ,
وقالت لنفسها أن منزلا في هذه المنطقة

الجبليّة النائيّة لا بد أن يكون بدائيا

وربما رومنطيقيا.

تحوّل السائق بسرعة الى طريق جانبية أدّت
الى بوابة حديدية كبيرة , محكمة الأقفال ,
خرج حارس يرتدي الثياب المدنية من منزل
حجري صغير يقع بين مجموعة من الأشجار ,
وراح يتبادل الحديث مع سائق السارة , مرّت
بضع دقائق قبل أن يستدير السائق نحوها
ويقول لها بلكنة أيطالية قوية:

" جواز السفر , يا آنسة ! أنه يريد رؤية

الجواز أولاً! ".

" يريد التأكد من حقيقة هويتي! ".

أخرجت جواز السفر من حقيبتها وأعطته

للسائق , الذي أعطاه بدوره الى الحارس ,

تأمل الرجل الجواز بدقة وتمعن , ثم طلب من

الآنسة هدسون أن تسمح بالخروج من

السيارة كي يتأكد نهائيا من أنها هي الآنسة

المنتظرة.

نزلت دونا وهي تشعر كأنها وصلت الى
حدود دولة صغيرة تحكمها سيراфина نيري,
الممثلة السينمائية العالمية التي تقاعدت
وأختارت العزلة ضمن جدران قصر يحميها
فيه حراسها الشخصيون ليس فقط
من الصحفيين والمصورين والفضوليين ,
ولكن أيضا من خطر الأختطاف ودفن الفدية
, أقنعت دونا نفسها بأن هؤلاء الأشخاص
مضطرون لأتخاذ كافة التدابير الوقائية ,
ولكن هذا الحارس يرى بالتأكيد أنه ليس

معها أي مسدس أو آلة تصوير , تفحصها
بدقة بالغة من رأسها حتى أخمص قدميها , ثم
أعاد اليها جواز سفرها وتحديث ثانية مع
السائق وهو يلوح بيديه بعصبية واضحة ,
فهمت دونا ماذا يجري بين الرجلين , لأنها
سرعان ما شاهدت السائق يخرج من سيارته
ويفتح صندوقها ثم يضع الحقائب على
الأرض ويمد يده طالبا أجرته , أحست بأن
الحارس سيسمح لها بدخول البوابة

ولكن سيرا على قدميها , يبدو أن لديه أوامر
مشددة بالأ يثق بأحد.....
أعطت السائق أجرته , فأطلق لسيارته العنان
مخلفا وراءه عاصفة من الغبار , وقفت دوننا
تراقب بهدوء , فيما الحارس يفتش حقيبتها
تفتيشا دقيقا للغاية , أغمضت عينيها
ورفعت وجهها نحو الشمس لتنعم بالدفء ,
وبتلك المسحة الخفيفة من اللون البرونزي
على وجنتيها.

لم تكن ظروف عملها في تلك الفيلا مشجعة
كثيرا , لا بل أنها في بعض متطلباتها مزعجة
ومثيرة للأشمئزاز , ولكن دوننا كانت تتحرق
شوقا للوصول ال إيطاليا وتمضية بعض
الوقت في مدنها وقراها الساحرة , حصلت
على وظيفتها هذه , لأن والدها مصور
سينمائي مشهور , وعمل بضع مرات بنجاح
باهر في أفلام سيرافينا نيري , تذكرت
سيرافينا أسم هدسون فحصلت دوننا على

وظيفة هامة , ألا وهي مساعدة الممثلة

العالمية في كتابة مذكراتها.

كانت دونا تقوم بمثل هذه الأعمال سابقا
وتفضّلها على الأرتباط بوظيفة مكتبية دائمة

, ولكنها تعرف أن لهذه المهام المؤقتة

مشاكلها ومصاعبها , ساعدت مرة فكاها

ذائع الصيت في كتابة قصة حياته , فلم تجد

أي فكاها ومرح في محاولاتها الدائبة والجاهدة

للبقاء بعيدة عن مغازلته ويديه , ولكنها

ستعمل هذه المرة مع امرأة أما هي فأن

أحتمالات فقدانها لصبرها... أقل بكثير من
أي وقت مضى.

أخذت حقيبة يدها من يد الحارس ولوّحت
بها قائلة له كلمة الشكر الإيطالية الجميلة
التي تعرفها , حدّق بها برهة ثم أنفجرت
أساريه وأنخني لحمل الحقائق , أشار إليها
بأن تتبعه , ففعلت ذلك بدون تردد , وسارا
على ممر ضيق بين صفين طويلين من
الأشجار الباسقة , كانت العصافير ترقزق
وتقفز على الأغصان بفرح ظاهر , مضيئة

مزيدا من العزلة الى هذه المنطقة النائبة ,
كيف يكون شعور الأنسان إذا كان غنيا
وجميلا وذا شهرة عالمية ويعيش في
خوف دائم من الأختطاف؟ هل تشعر
سيرافينا بأثارة من نوع ما وهي لم تعد تظهر
على شاشة السينما , بل تعيش على أمجاد
الماضي..... وحيدة؟ وتمتت دوننا بمجرد
وصولها الى باحة الفيلا:
" رائعة كأنها من صنع الخيال! ".

نظر اليها الحارس بأستغراب وقال لها

بالأيطالية:

" عذرا يا آنسة؟".

أبتسمت ثم أشارت بيدها الى الفيلا وردت

عليه بلغته ممازحة:

" أنها جميلة جدا هذه القلعة الحصينة".

هز الحارس رأسه بدون أن تتغير ملامحه أو أن

يبتسم , تصورت دوناً أنه ربما كان أنسانا

طيب القلب , دمث الأخلاق , على الرغم

من ذلك المسدس الكبير الذي يتدلى من
حزامه , ثم قال لها , مستخدما اللغتين معا:
" هيا , يا آنسة , أتبعيني ."

سارت وراءه باتجاه الباب الخشبي بدون أن
تفوه بكلمة واحدة , شد جرسا معدنيا الى
جانب المدخل وأنتظر حتى أنفتحت طاقة
صغيرة في الباب , هز الحارس رأسه للشخص
الذي يقف في الداخل , ثم حياها بتأدب
بالغ وتركها مع حقائبها , ابتسمت دوننا

للعينين السوداوين التين كانتا تحقدان بها ,

وقالت:

" أنا الآنسة هدرسون , السيدة نيري

بانتظاري".

فتح شاب وسيم الباب العريض محييا بأحترام

, ثم حمل حقائبها وسار أمامها عبر القاعة

الجميلة المبردة صعودا الى قاعة الجلوس ,

توقف الشاب لحظة ثم طرق أحد الأبواب

المزدوجة وهو يتأمل وجهها وجسمها بشكل

مغر , تظاهرت بأنها لا تأبه لنظراته , لأنها

كانت تشعر بأن سيرافينا التي تحيط نفسها
بالرجال لا بد أنها امرأة تحب أن تكون
وحدها محور اهتمامهم وأعجابهم , ومن
المؤكد أن المغازلات أمور غير مستحبة في
هذا المنزل , هذا لا يهمها كثيرا , لأنها لم
تلتق بعد الرجل الذي يزيد من سرعة خفقان
قلبها أو يلهب مشاعرها وأحاسيسها.
" أدخل! "

فتح الشاب بابا يؤدي الى غرفة كبيرة رائعة
تجلس فيها سيدة بمفردها.

" الأنسة هدسون".

أعلن الشاب وصولها ثم انسحب بسرعة تاركا
الشابة الجميلة مع ربة عملها , تأملت كل
منهما الأخرى بهدوء وروية فتاة بريطانية
نحيلة الجسم عادية الملامح , وسيدة أيطالية
فائقة الجمال ذات شعر أسود لماع وعينين
خضراوين جذابتين وجسم يضج فتنة وكمالا
, كانت سيرافينا تقف قرب النافذة بأبهة
وفخر..... تجسّد أحلام الملايين من الرجال
في جميع أنحاء العالم , أنها المرأة التي كان

الرجال يشاهدونها بلهفة وسعادة
وحرقة , متمنين لأنفسهم لو أن زوجاتهم أو
صديقاتهم يشبهنها من حيث الجمال والأغراء
, نظرت اليها وقالت بصوت ناعم ودافئ.
" أذن أنت دوننا! "

هزت الشابة رأسها فمضت الى القول:
" كان والدك , يا دوننا , صديقا عزيزا جدا ,
ومصورا ناجحا للغاية فنانا الى درجة
الأبداع , كان يعرف كيف يصور لي اللقطات

القريبة أذ كان يخفف كثيرا من بروز أنفي
الأيطالي.. أن كنت تعرفين ما أعنيه!".
ابتسمت دونا وهي تلاحظ فجأة أن هذه
السيدة أكثر أنسانية مما بدت عليه في الوهلة
الأولى , كانت تبتسم عندما قالت لها دونا:
" كان يتحدث عنك باستمرار , يا سيدة
نيري , أخبرني أكثر من مرة أنه كان يفضل
العمل معك أكثر من غيرك , فلك أسلوب
مميز وشخصية فذة في التمثيل.
ثم تنهدت وأضافت قائلة بهدوء:

" حزنت كثيرا عندما لقي حتفه في ذلك
الحريق البشع الذي ألتهم أستديوهات
الشركة في لوس أنجلوس لا شك أنها خسارة
فادحة ومؤلمة جدا بالنسبة اليك يا صغيرتي ,
وخاصة لأنك كنت فقدت أمك أثناء
طفولتك , أنه القدر , ولا يمكننا تجنبه أو
تفاديه كما لو أنه حلول الظلام أو شروق
الشمس , والآن يا عزيزتي , سوف
تساعديني كي أصبح كاتبة , أنه دور جديد

جدا بالنسبة الي , وسوف يساعدي على
تمضية الوقت , أليس كذلك؟".
أبتسمت دوناً وهزت برأسها , مسكينة هذه
الأمراة ! تملك مساحات شاسعة من
الأراضي والحقول والبساتين , ولا تعرف
كيف تتمتع بها , تلك الزهور الرائعة التي
تنبت في كل مكان , تلك العصافير المختلفة
التي تغني على رؤوس الأشجار وبين أغصانها
..... تلك الطرقات الصغيرة والممرات
الضيقة المتشعبة التي تؤدي الى مناطق جبلية

ساحرة تطل على مياه البحر المهدئة

للأعصاب!

ولكن سيرافينا زهرة طرية العود وليست

أحدى تلك النباتات ا

برية القوية , ومن المؤكد أنه لم يخطر ببالها قط

أنه يمكنها أيجاد متعة كافية في الأمور البسيطة

, عاشت طويلا في الأضواء , وتريد أن تضع

الآن في كتاب واحد ذكرياتها عن تلك

الأيام..... والليالي..... الفاتنة والباهرة ,

تريد أن تذكر العالم بغرامياتها

بانتصاراتها..... ودموعها.

" هل تعتقدين أن بإمكاننا القيام بعمل جيد

معاً؟".

وجهت سؤالها وهي تشير بيد جميلة الى مقعد

وثير قريب منها, جلست دوناً بهدوء وقالت:

" آمل ذلك يا سيدتي , الفيللا جميلة للغاية

وأنا لدي شعور بأنني سأتمتع بهذه البلاد

الرائعة".

" كل من له قلب حنون ومشاعر حساسة
يحب إيطاليا ويتمتع بها , سوف تناديني
سيرافينا , كما يفعل المقيمون في الفيلا".
ثم سألتها بلهجة جادة:

" أخبريني , أليس لديك شاب يعترض على
أبتعادك عنه؟ سيأخذ أعداد الكتاب فترة
طويلة , فلدي معلومات كثيرة أريد أن
أضمنه أياها , وأنا لا أسمح لأي غريب
بالحضور الى هنا , لزيارة أي من العاملين
لدي".

" ليس لدي صديق في الوقت الحاضر
ليس بشكل دائم وثابت على الأقل ,
بإمكانك اعتباري موظفة محترفة , وليس فتاة
لا يهملها سوى الخروج مع الشبان والسعي
للزواج".
" عظيم".

جلست سيرافينا بأناقته المعهودة على كنية
مغطاة بجلد الحمار الوحشي , لا يمكن تقدير
عمرها بأكثر من ثلاثين , ولكن دوننا تعرف
من وادها أن الممثلة الشهيرة تجاوزت الحادية

والأربعين , بشرتها ناعمة جدا , وعيناها لا
أثر للتعب فيهما , وشفثاها تضجان حياة
وأغراء ودعوة , أبتسمت سيرافينا وقالت لها:
" أنك تحديق بي , هل ستعجبين كثيرا عندما
أقول لك أن لدي أبنا في الخامسة والعشرين
من عمره؟".

ردت دونا بأبتسامة خجولة , قائلة:
" أخبرني أبي أنك سيدة جميلة جدا , الجمال
الحقيقي لا يذبل , بل يزداد روعة وبهاء.

ضحكت سيرا فينا وقالت:

"كجوهرة نادرة أو لوحة لأحد الفنانين

المشهورين؟ إذا ولدت المرأة جميلة، فأنا

تعني بجمالها تماما كما تعني بجوهرة ثمينة، أنا

لا أخرج كثيرا إلى الشمس، وقد تجد فتاة

بمثل حيويتك ونشاطك، أن ذلك خطأ فادح

وجسيم، كما أنني لا أكل طعاما يضر

بصحبتى أو يزيد من وزنى، أنا امرأة دقيقة

جدا يا دونا، كذلك يمكنني أن أكون مزعجة

جدا وقاسية إلى أبعد درجة، عندما يكون

مزاجي سيئا , هل تعتقدين أن أعصابك

ستحملني؟".

" أنا لست زهرة ضعيفة , يا..... سيرافينا".

أنه أسم جميل , ولكن دوننا شعرت بشيء من

الخجل لمناداة ربة عملها بأسمها الأول.....

وخاصة عندما تذكرت الشهرة المذهلة التي

حققتها هذه المرأة المثيرة , وتذكرت دوننا

أيضا أن سيرافينا أنطلقت من أزقة صيقلية

لتصبح نجمة عالمية يسعى الى الفوز بقلبها

وبحبها بعض أشهر العازبين في العالم , ولكن

سيرافينا تزوجت في الثامنة عشرة رجلا
يكبرها بسنوات عديدة , لم تعيش معه سوى
فترة قصيرة , أنجبت خلالها صبيا تولى الوالد
تربيته عندما ذهبت هي في سبيلها سعيا وراء
الشهرة والثروة , لم تعد الى زوجها بعد ذلك
الحين , ولأسباب غريبة وخاصة بها , وجدت
من المناسب أن تظل متزوجة منه.....
وكأنها تفضل أن يحبها الرجال عن بعد.
" لا يا عزيزتي , فأنت شابة تملك ملامح
قوية تعجبني الى حد كبير , كما أنك لست

من نوعية الأشخاص الذين يتصرفون بخنوع ,
أنا أكره وأحتقر الأشخاص الذين يلاطفونني
كذبا وبهتاناً , أوه , نعم أحب الناس
الذين يعاملونني بأخلاص حقيقي , لدي
حراس عديدون في هذا المكان , رأيت
بعضهم وأنت في طريقك الى هذه القاعة ,
أنت تعرفين يا دونا أنني امرأة ثرية , ثمة رجال
عصابات في هذه المرتفعات يتمنون أختطافي
للحصول على فدية دسمة , حاولوا ذلك
مرة! كنت متوجهة بالسيارة الى نابولي لزيارة

شقيقتي , فأحاطوا بالسيارة وهم يركبون
دراجات نارية سريعة , ولكن لحسن الحظ,
كان مرافقي الخاص معي فأنقذني من أولئك
المجرمين القدرين الذين لا يعملون لكسب
عيشهم بل ينقضون كالعقبان الجائعة على
الذين عملوا جاهدين لتحقيق ما توصلوا اليه
بنجاح وغنى.

أسندت سيرافينا رأسها الى وسادة ناعمة ,
وأغمضت عينيها ثم مضت الى القول:

" نعم , عملت في شبابي كالكلاب وسوف
أذكر ذلك كله في مذكراتي , ستكون
مذكرات مثيرة للبعض ومقززة للبعض الآخر ,
لأنها ستكشف نفسيات الأشخاص الذين
عرفتهم على حقيقتها , لن تصابي بالملل يا
مساعدتي البريطانية الشابة , ستجدين أمورا
كثيرة تسليك وتثير دهشتك , وربما
ستحسدني على ما مررت به عندما كنت
مثلك في العشرينات من عمري , أخبريني ,
ألم تجدي بعد لنفسك حيبا؟ "

فاجأتها صراحة السؤال , فأحمرت وجنتاها

عندما أجابت بتلعثم:

" كنت أعتقد أن جميع الفتيات البريطانيات

متحررات الى درجة بالغة , لماذا تختلفين عن

غيرك , يا دونا؟ ألم تلتقي رجلا يشرك الى

درجة التهور؟ هل من المعقول أنك لا تزالين

تحتفظين بتلك المثل العليا والتقاليد المترزمة

التي تجاوزها الزمن , كأن تريدين صيانة

نفسك حتى ليلة العرس؟".

لم يعجب دونا ذلك النوع من التدخل
الساحر والقاسي في حياتها الخاصة, ولكنها
شعرت بأن سيرافينا امرأة تعيش في وحدة
قاتلة على الرغم من ثروتها الطائلة وحماية
حراسها , ومن الواضح أنها بمجرد وجودها
مع أنتى أخرى , شعرت برغبة قوية للثروة
..... كثيرا ما تؤدي ثروة النساء الى مواضيع
تتعلق بغرف النوم , أجابتها دونا بلهجة

هادئة:

" لم ألتق بعد رجلا أحسست بمثل هذه الرغبة نحوه , بالأضافة الى أنني كنت غارقة في العمل منذ تخرجي من كلية إدارة الأعمال ."

" لديك ملامح غير عادية , مع أنه لا يمكن وصفك فعلا بأنك جميلة , هذا اللون الذهبي في شعرك طبيعي , أليس كذلك؟ أنني أسألك لأن جفنيك سوداوان ."

" هذا هو شكلي الطبيعي ولا أغيره لأي سبب من الأسباب ."

" وهذا يثبت أنك أنينة صادقة ومخلصة ,
وأن لديك عقلا راجحا ومنطقيا , أعتقد أن
الأمور بيننا ستجري على ما يرام , على
الأقل في معظم الأحيان , هكذا كانت الأمور
مع والدك , من المؤكد يا صغيرتي أنك
تفتقدين كثيرا ذلك الرجل العظيم! "

هزت دوناً رأسها وقالت:

" كان أبي رجلا متشددا لا يعرف المراوغة أو
التراجع عن الآراء والمواقف , ووما لا شك

فيه أنني أبحث عن صفاته وخصائصه هذه

... في الرجال الآخرين".

" هذا واقع لا بد من حصوله , أنا أحببت

أبي كثيرا وسأذكر ذلك في كتابي , توفي وأنا

صغيرة السن , وتولت أمي مهام تربيتي

ورعايتي , براعم صقلية تفتح بسرعة ,

وبعض الفتيات يتزوجن في سن مبكرة

جدا..... كما فعلت أنا , كان زوجي , رجلا

طيبا جدا , ولكن الحياة معه كانت مملة ,

عندما سنحت لي فرصة الأشتراك في مسابقة
لأختيار أجمل فتاة , أغتنتها.....".
توقفت سيرافينا لحظة ومدت يديها , فلمعت
خواتمها الثمينة , ثم مضت الى القول:
"كانت تلك المسابقة بداية أنطلاقي , فزت
بها , فأعطتني إحدى شركات السينما دورا
تافها في فيلم عن حقول الأرز , أوه , كم
كان ذلك الأمر مثيرا بالنسبة اليّ! كان تحولا
جذريا عن حياة الفقر في أزقة صقلية , لم
أتردد أو أتخاذل قررت أستغلال تلك

المناسبة للأنطلاق , وفعلا , أمسكت
بأطراف الحظ والشهرة , وتعلقت بها بكل
قواي".

لم يكن جمالها وحده الذي سلب عقول رواد
السينما , كانت تبعث حرارة خارج الشاشة
الفضية , جعلت الرجال والنساء على حد
سواء يحبونها ويعجبون بأفلامها , ثم عادت
تسأل دونا:

" هل لديك أشقاء أو شقيقات ؟ كنت
ووالدك نتحدث عادة عن الأفلام , ولم أعد
أذكر ما إذا كان لديه أكثر من طفل واحد".
" لم يكن هناك غيري , كنت أتمنى دائما لو
أن لدي شقيقة ولكن والدي لم يتزوج بعد
وفاة أمي وكرّس حياته لعمله".
" جميل أن يكون للإنسان شقيقة , والآن ,
يا دونا , ما رأيك في أن تشاهدي مكان
أقامتك وتنتعشي قليلا بعد رحلتك الطويلة
هذه؟ هل أتيت بالطائرة الى روما؟".

" لا , أتيت بالقطار السريع من باريس الى روما , وتمكنت بالتالي من التمتع بمناظر الألب الرائعة".

" يا لك من مخلوقة قوية وشجاعة ! ألم يكن القطار مكتظا بالركاب كأحدى عرب السردين ؟ ماذا فعلت في روما؟".

أبتسمت دوننا وقالت:

" ذهبت الى نافورة ترافي ورميت فيها قطعة نقود معدنية , ألا يقولون أن الأنسان يحقق

بذلك أمنية ، وخاصة إذا كان يقوم برحلته

الأولى الى روما؟".

" أوه! أذن أنت أيضا تعتقدين بمثل هذه

الخرافات البريئة! أنا فعلت مثلك ، يا عزيزتي

، وحققت أمنيتي ، ماذا كانت

أمنيته يا دونا ؟ لا لترجي مباراة في الجمال

حسبما أعتقد ! ربما للقاء رجل يهز الأرض

من تحت قدميك ، أليس كذلك؟".

رفضت دونا الأجابة عن هذا السؤال ، فمع

أنها لم تطلب أي مغامرة عاطفية أو لقاء فتى

أحلامها , ألا أنها أغمضت عينيها بقوة
عندما رمت القطعة النقدية وتمنت أن تمضي
وقتا سعيدا وممتعا في إيطاليا , وسمعت
سيرافينا تقول بلهجة شاعرية:
" روما أجمل مدينة في العالم , تجلس السعادة
في أحد مقاهي أرصفتها وتراقب الناس على
أختلاف ميولهم ومشاربهم , هل أمضيت
هناك فترة كافية لرؤية المغيب الدافئ والفجر
المنير؟".

" أمضيت نهارا وليلة , فشاهدت مغيب

الشمس وشروقها " .

تذكرت دونا كيف أستأجرت عربية وذهبت

لرؤية الملعب الروماني القديم في ضوء القمر

الساطع , وكيف أنتبهت فجأة وهي تسير

وحدها الى أن شخصا يتبعها , خافت لأنها

وحدها في مدينة غريبة , أستدارت بسرعة

لتركض نحو العربية المتوقفة على بعد عشرات

الأمطار عنها , فأصطدمت برجل طويل القامة

قال لها:

" ماذا تفعل فتاة بريطانية مثلك في مكان كهذا؟ هل تسمعين زئير الأسود التي كانت تطلق قديما من أقفاصها لتمزق أحشاء المساكين الذين كانوا يرمون اليها؟".

ذهلت دوننا لدرجة أنها لم تتمكن من الأجابة أو التعليق , وكانت مدعورة الى حد لم تلاحظ معه ألا بعد لحظات طويلة مؤلمة أنها شاهدت هذا الرجل قبلا في الفندق الذي تقيم فيه, تذكرت أنه كان يجلس الى طاولة تبعد عنها بضعة أمتار أثناء تناول العشاء ,

وما لفت أنتباهها آنذاك أنه يضع خاتما ذهبيا

صغيرا في أذنه اليسرى , وعاد يسألها:

" لماذا تأتين الى مكان كهذا , ما لم تكوني

راغبة في العودة الى الماضي البعيد ؟ هل

تسمعين زئير الأسود وضجيج الحشود

الغفيرة؟".

شعرت برغبة قوية للهرب نحو العربية والسائق

الذي ينتظرها , ألا أن شيئا ما في ذلك

الأيطالي الغريب وفي ملاحظاته سمّرها في

مكانها شيئا بالنسبة الى نظراته وملاحه

أيقظ خيالها وجعلها تدرك أن الوجه اللاتيني
الحقيقي لا يتبدل ويتغير مهما مر عليه من
عهود وأجيال , أنه أيطالي من مواليد الربع
الثاني للقرن العشرين , ولكن وجهه يبدو
وكأنه خارج لتوه من لوحة رسمت في عصور
النهضة , وعلى رغم مخاوفها , شعرت دونها
بأحاسيس غريب أتجاه هذا الأسمر الغريب ,
كانت عيناه الخضراوان تجذبانها وتثيران في
جسمها رعشة لم تعرف لها سببا.

" نعم , أيتها الفتاة البريطانية الشقراء ,
لديك حس يجعلك تدركين حقائق الماضي
وروعته , تتركين شعرك الذهبي يتدلى على
كتفك كسنابل القمح الناضجة , فيتأملك
المصارعون الأشداء بأعجاب قبل أن تنقض
الأسود لتنهش جسدك الطري الناعم".
دبت القشعريرة في أطرافها وهي تتخيل تلك
الصورة الوحشية التي رسمها لها , وسألته
بأنزعاج بالغ:

" وأنت ؟ ماذا كنت؟ أحد أولئك الرومان
القساة الذين كانوا يمتعون أنظارهم بتلك
المشاهد الدموية الوحشية؟".
" أنا كنت مصارعا من جزيرة صقلية , في
الليالي التي كانت تسبق أحتفالات الدم
والبربرية ويحضرها الأباطرة بأنفسهم , كانوا
يمنحون المصارعين رغباتهم الأخيرة
فتيات من بين الأسيرات العذارى , آنذاك
ألتقينا للمرة الأولى , أليس كذلك؟".

أعجبها بقدر ما أفرعها وأثار أشمئزازها ,
كانت تغطي وجهه القاسي الجذاب مسحة
قوية من الألم , أبتسم وقال لها:
" من المحتمل جدا أن تنفي شابة بريطانية
عصرية مثلك بأنها تؤمن بعودة الروح".
شعرت أن نظراته الحادة تصل الى صميمها
وأعماق تفكيرها بشكل لم تسمح به قبلا
لأي غريب أو حتى قريب , أحست بالخوف
فقالت له أنها لم تفكر قط بهذا الموضوع , ثم
ركضت نحو العربية , خشيت أن يلحق بها

ذلك الذئب اللاتيني المميز , ولكنه لم
يفعل ذلك , عادت الى الفندق , فأكتشفت
أن حفلة راقصة تقام هناك , تمت الأنضمام
اليها , لأنها لن تمضي سوى ليلة واحدة في
روما , أعطاهها شاب قناعا فضيا , لأن
الجميع مقنعون , أحست بيد تمسك بخصرها
وبشخص مقنع يقول لها بصوت خافت:
" هل ترقصين معي , يا آنسة؟".

واجهها مرة أخرى رجل طويل القامة يرتدي
سترة داكنة , وأحست ثانية بمشاعر الخوف

والخجل , عرفته لتوها , ولكنها شعرت أنه
لن يدعها تفلت من يديه مرة أخرى , أمسك
بمعصمها بقوة وقال:

" تعالي! قد لا تكون القطعة الموسيقية هذه
مألوفة لديك , ولكنها تعزف الليلة تخليدا
لذكرى أيطالي شهير ذهب الى أميركا قبل فترة
طويلة وأصبح محور الأحلام السرية لجميع
النساء".

لم تقل له أن أسم المقطوعة هو عشيق
الأحلام , ظل يراقصها حتى فرغت الحلبة
من الراقصين وبدأ أفراد الفرقة الموسيقية
يجمعون آلاتهم , توجهوا الى الشرفة وراحا
يتحدثان بهدوء وروية , كان يعرف الكثير عن
أيطاليا فأصغت اليه بانتباه كلي وكأنها في
حلم , لم يذكر أي منهما أسمه للآخر , ولكنه
دعاها الى تناول الفطور معه , وعند أفتراقهما
, قبّل يدها وشكرها على تلك السهرة
الجميلة.

لم يكن موجودا في قاعة الطعام صباح اليوم
التالي , ولكنها وجدت على طاولتها وردة
بيضاء ورسالة مغلقة , فضّتها بيدين مرتجفتين
وقرأت محتوياتها بتمعن:

" نحن نقول في إيطاليا , الى اللقاء قريبا , ربما
تمكنا يوما ما من الرقص معا ثانية , وربما
بدون أقنعة".

لم تكن الرسالة القصيرة موقعة بأي أسم ,
ولكن دوننا علمت ماذا ترمز اليه تلك الوردة
البيضاء الجميلة بالنسبة الى الإيطالي الوسيم

الذي دخل حياتها على ذلك النحو

المستغرب ثم أختفى بدون أن يقول لها كلمة

وداع حقيقية.

" وكيف وجدت روما , يا دونا؟".

أستفاقت من ذهولها وأحلامها , ثم نظرت

باعتذار الى سيرافينا وأجابتها بأرتباك ظاهر:

" أوه..... أنها جميلة رائعة ,

وكذلك حزينة الى حد ما ".

أبتسمت المثلة القديرة وقالت:

" أنت حقا ابنة أبيك , أذهبي الآن مع
أنريكو ليدلك على شقتك , سنتناول طعام
العشاء في تمام الثامنة".

لحقت دونا بالمساعد الشاب وهي تتساءل
عما إذا كان ابن سيرافينا يعيش في الفيلا ,
تحدثت سيرافينا عن الأشخاص الذين
يعيشون معها , ربما كانت تعني وجود ضيوف
..... وهم الآن نائمون , بعكس الضيوف
البريطانيين الذين يمضون مثل هذا الوقت في
ممارسة لعبة كرة المضرب , أو التحلق حول

بركة السباحة إذا كانت مضيفتهم تمتلك

واحدة.

عندما تركها أنريكو في غرفتها وأغلق الباب

وراءه , أخذت دونا تتأمل بأعجاب بالغ

السجادة السميقة التي تغطي الأرضية

الخشبية والمفروشات الأنيقة الجميلة ,

ومصابيح الزيت النحاسية الرائعة التي

تستخدم عوضا عن الكهرباء , شعرت دونا

بسرور عارم لأنها لم تعمل من قبل أبدا في

مكان مثير وجذاب كهذا.

خرجت الى شرفتها وراحت تحديق بتلك
المناظر الجبلية الخلابة , هذه هي قلعة
سيرافينا تحكمها كأحدى أميرات القرون
الوسطى , أنها امرأة مثيرة , ومن المؤكد أن
مذكراتها ستكون مثلها , شعرت دونا بصورة
قاطعة أنها ستمتع بعملها في إيطاليا , بالرغم
من تلك الحادثة التي واجهتها في روما ,
وضعت يدها على عنقها وأزداد خفقان قلبها
عندما تذكرت ذلك الوجه اللاتيني القوي
والعينين الخضراوين , لم تعرف أحدا في حياتها

أو تسمع أو تقرأ عن رجل يضع خاتماً ذهبياً
في أذنه.....

من يكون هذا الرجل , وهل ستلتقيه ثانية؟
كل ما تعرفه عنه أنه من صقلية , جزيرة
الليمون وحوادث الثأر والأنتقام.

2- رفته تذييها !

ألتقت دوناً ذلك المساء عدداً من الأشخاص
الآخرين الذين يقيمون في الفيلا , وكان
بنهم , كما توقعت , ضيوف كثيرون , لم

يعرّها أحد أهتماما يذكر عندما دخلت القاعة
، لأنهم كانوا غارقين في ثرثرتهم عن أصدقاء
أو أعداء مشتركين ، ومع أن دونا تعرف
الأيطالية الى حد ، ألا أنها شعرت بالضياع
بينهم.

تقدّم نحوها شاب فعلمت على الفور أنه ابن
سيرافينا ، عيناه خضراوان جميلتان ، ووجهه
لاتيني وسيم للغاية وأبتسامته جذابة مغرية ،
ألا أن نظرة دونا إليه كانت تختلف عن بقية
الفتيات ، من حيث أنها أكثر أهتماما

بتحليل شخصيته , أنه ابن سيرافينا الذي
تركته مع زوجها , فيما كانت تسعى الى
الشهرة وأثارة دهشة العالم . وعندما أصبحت
تتمتع بشهرة عالمية وبثروة طائلة , أختار
أبنها الأنتقال الى قصرها .

لم ترد دونا على أبتسامته الدافئة بالمثل , بل
وجّهت اليه نظرة عادية , لا بل باردة , أنه
يعرف أنها سكرتيرة أمه , وربما أفترض بأن
توددها اليه جزء من مهمتها ووظيفتها ,
تأملها بتفحص بالغ , مع أنها كانت تمثل

البساطة بعينها فيما لو قيست بالنساء
الأخريات , وأبتسم لها بطريقة بأنه لم يلق
طوال حياته مقومة كبيرة من أية فتاة , وقال
لها:

" يا له من شعر جميل ! ويا لها من بشرة
رقيقة وناعمة تشجع على اللمس! "

ردت عليه بسرعة وحزم قائلة:

" ألمسني , يا سيد نيري , وسأصفك على
وجهك , ستعلم أنت وسأخسر أنا على
الأرجح وظيفة جيدة جدا "

وضع يده على خده وكأنه يجذرها من أنه
سيداعب وجنتيها يوما ولن تصفعه , وقال:
" أوه! أنك فتاة حادة الطباع وعصبية المزاج
على الرغم من برودتك البريطانية ! ماذا
تشرين يا آنسة هـدسون؟ أتصور أن عليّ
التصرف معك بطريقة رسمية الى أن أحصل
على موافقتك بأن نصبح صديقين؟".
تذكرت ملاحظات الأيطالي الآخر الذي لم
تتمكن بعد من نسيانه , وقالت بحدة :

" أنتم الرجال الإيطاليين واثقون جدا من
أنفسكم , أليس كذلك ؟ أظن أن ذلك يعود
الى طريقة تربيتم منذ الصغر , وألى
معاملتكم كأسياء من جانب قريباتكم".
" ألا تعتقدن أنه يجب تدليل الفتيان
الصغار؟".

" في بلادي , يا سيد نيري , يعامل الصبي
كالبت تماما , وفي بلادي أيضا , لا يغرس
أحد في عقول الفتية الصغار أن الفتيات
سيقعن بجهنم من النظرة الأولى وأنهن على

أستعداد لأن يصبح مستعبادات لهم مدى

الحياة".

غمر عينيه بريق تحد زاد من جماهما وقدرتهما

على الأغراء , وقال بتعجب بالغ:

" أوه ! ألا تعتقدين بإمكانية الحب من أول

نظرة ؟ غريب أمرك يا آنسة ! فالفتاة

البريطانية تأتي عادة الى إيطاليا بحثا عن

مغامرة عاطفية دافئة لا تجدها في بلادها

الصناعية الباردة".

تظاهرت بعدم الأكتراث , وقالت له ببرودة

أعصاب مذهلة:

" أنا , يا سيد , أتيت الى إيطاليا لأعمل ,

وأذا كانت دعوتك لا تزال قائمة , فأني

أفضل عصير البرتقال , أنا مجرد سكرتيرة

جيدة تتمتع بعملها الى درجة كبيرة".

" لست متأكدا من ذلك , فالماء يكون راكدا

أحيانا لأنه لا يجد من يعث به , وقد تجدين

قريبا أن الجو في بلادنا سوف يذيب حبيبات

الثلج التي تحيط بقلبك , سأحضر لك

العصير فلا تذهبي!" .

أبتسمت له بطريقة ساخرة وقالت:

" لن تتمكن من حملي على الهرب , يا سيد

, فأنت لا تفرعني بما فيه الكفاية" .

قطب حاجبيه أستياء ثم رفع رأسه بعنجهية

وعنفوان وتوجه الى الجانب الآخر من القاعة

, قالت دوناً لنفسها أن هذا الشاب الوسيم

واثق جداً من قدرته على الفوز بقلوب

العشرات من الفتيات , بحيث أنه لن يأبه

لرفض سكرتيرة باردة مثلها , أنه جذاب جدا
ويعرف ذلك , ولكن دوننا لم تكن تنوي أبدا
أن تعرّض وظيفتها للخطر بتقبّل مغازلته
ومداعباته..... أنها تعلم أن سيرافينا سيدة
تحب السيطرة والتملك , ومن المؤكد أنها لن
تفرح بأن أبنها يولي أهتماما خاصا لفتاة
تعمل في خدمتها.

تطلّعت دوننا حولها وأفترضت أن سيرافينا
تنتظر تجمّع ضيوفها قبل أن تدخل بأبهة

وعظمة , وهي تبدو أكثر جمالا وجاذبية من
أجمل ضيفة لديها , ودخلت ربة القصر في
تلك اللحظة بالذات , كانت ترتدي ثوبا
فضيا خلايا وتتدلى على صدرها قلادة من
الأحجار الكريمة الثمينة التي تشع كالنجوم
الساطعة , تنهد الجميع أعجابا ولكن
دونا حبست أنفاسها لسبب مختلف تماما.
كان يتبع سيرافينا رجل طويل القامة يرتدي
سترة داكنة , عرفته دونا فورا من ملامح
وجهه القاسية , وقامته الممشوقة , وهيبته

المتفطرة , عكست عيناها نظرات الدهشة
والصدمة ذاتها التي أحست بهما قرب ذلك
الملعب الروماني القديم في روما , شعرت
برغبة يائسة للهرب قبل أن يراها ذلك الرجل
, بدأت في السير نحو غرفتها , ولكن شخصا
وضع كوب باردا في يدها وهو يقول متمتما:

" أحبس أنفاسي دائما عندما أتأمل
جمالها.... وأنا أبنها , عندما أنظر اليها أجد
من الصعوبة بمكان أن أتخيلها قادرة على

الحب كأي أنسان آخر على وجه الأرض ,
ومع ذلك فأنا برهان ثابت على أنها فعلا
أحبت في وقت ما , هل يعجبك العصير؟".
شربت دوناً كمية كبيرة لأن حلقها جفّ الى
درجة مؤلمة , تصوّرت عندما تركت روما أنها
لن تشاهد أبداً ذلك الأسمر الغريب الذي
تحدّث إليها بمثل تلك الطريقة المستهجنة ,
ولكنه هنا ولا يزال يضع في أذنه
ذلك الخاتم الذهبي الذي يبرق قرب شعره
الأسود الجميل , لم تتمكن , عندما بدأت

نظراته تتفحص وجوه الموجودين , ألا أن

تسأل ابن سيرافينا:

" من هو هذا الرجل؟".

" أنه لورديتي , ريك لورديتي , الذي يحسده

الرجال في إيطاليا والعالم لأنه يعتني بالممثلة

الدائعة الصيت... سيرافينا , أنها تعتمد عليه

أكثر من أي رجل آخر , حتى من مستشارها

المالي أو كاهتها , أنه الحارس الشخصي

والخاص لأمي".

" هل تعني أنه..... أنه يعيش هنا... في

الفيلا؟".

" طبعا , مع أنه أمضى الأسبوع الفائت في

روما للقيام ببعض الأعمال الخاصة , كانت

الفيلا في غيابه قلعة حصينة لا يدخلها أو

يخرج منها أحد".

ثم أطلق ضحكة خبيثة صغيرة وأضاف قائلاً:

" تشعر سيرافينا براحة بال أكبر وبتوتر

أعصاب أقل , عندما يكون ريك هنا

لحمايتها والأهتمام بها , أنها تعتقد اعتقادا

راسخا بأنها ليس في أمان ألا بوجود ريك
، وتكزاً من فكرة أن أبنها قادر على حمايتها
..... وربما كانت على حق في ذلك ، لأن

أبنها ليس قاتلاً مأجوراً محترفاً .

" وهل هو قاتل مأجور؟ " .

لاحظت دوناً وهي توجه سؤالها هذا أن
العينين القاسيتين تحدقان فجأة بوجهها ،
ولكن نظرة التعرف التي توقعتها لم تكن سوى
نظرة عابرة غير عابئة بوجودها إلا عرضاً ،

أكتفى الرجل بتأمل ملاحظتها ثم حوّل نظراته
إلى شخص آخر.

" نعم , هذه هي مواصفاته بالتحديد... قاتل
محترف يعمل في خدمة أمي".

حبست دوناً أنفاسها بقوة , فتأملتها أعينان
الخضراوان الجميلتان بأهتمام وسمعت
صاحبهما يقول لها بهدوء:

" غاب اللون تماماً من وجهك , يا أنسة
هدسون ! ولكن لا تخافي من لورديتي أو
تدعيه يقلقك , يمكنك تجاهله كلياً , أنه

يتناول العشاء معنا , لأن أُمي تشعر
بالطمأنينة وراحة الباب عندما يكون قربها ,
أنها تشعر بخوف دائم ورهيب من احتمال
أختطافها , ووقوعها بين أيد خبيثة تؤذيها ,
ولا تثق بأحد إطلاقا كما تثق بحارسها
الصقلي الذي تعطيه أجرا باهظا , أنقذها
قبل بضعة أشهر عندما تلقى عنها بصدوره
طعنة خنجر حاد , شعر بالتأكد بالآلام مبرحة
ولكنه قاد سيارتها على هذه الطرقات الجبلية
الملتوية بسرعة جنونية , بعيدا عن عصابة

الدراجات النارية , أنا أشك كثيرا في أن لهذا
الرجل أي اهتمام بأي امرأة باستثناء
سيرافينا".

شدت دوناً بيدها على كوب العصير وكادت
تحطمه , نعم.... لاحظت تلك الليلة في
روما أن لهذا الرجل جانبا قاسيا جدا , وها
هو الآن رجل خارج المجتمع يقبله
الجميع كأنسان وثيق الصلة بأحدى أشهر
نساء المجتمع , يعيش حياة الخطر , ولكن
أخلاقه ثابت وراسخ كالجبال.

" غريب أمر هذا الرجل العنيف..... كيف

يتعلق بمثل هذه السيدة الناعمة".

ردّت دوناً على الأبن بقولها:

" من المؤكد أنك تشعر بالأمتنان له لأنه أنقذ

والدتك من أيدي عصابة من الأشرار؟".

" أنه يقبض أجراً مرتفعاً جداً للقيام بمثل هذه

المهام ولمواجهة مثل هذه المجازفات , ولكنني

سأقتله بهاتين اليدين إذا تبين لي أن الأشاعة

صحيحة!".

لم تتمكن دوننا من تجاهل هذه الملاحظات ,

فسألته بتردد :

" أي..... أي أشاعة؟".

" أنه على علاقة بسيرافينا!".

أتسعت عيناها دهشة وأستغرابا وحوّلت
نظرها نحو ذلك القاتل المحترف , بدا غير
مهتم بأحد ألا بتلك السيدة الأنيقة التي
ترتدي عباءة فضية رائعة , ومع أن سيرافينا
سيدة طويلة جدا بالنسبة الى النساء ألا أن
الرجل كان لا يزال أطول منها بمقدار كبير ,

عادت تنظر الى الشاب الوسيم قربها فرأت
أن نظرات الحسد والحقد لم تنزل في عينيه ,
وأن أعصابه لا تزال متوترة الى درجة
الأنفجار.

توجه الجميع الى مائدة الطعام الفخمة التي
تصطف عليها أثمن الأواني الفضية والزجاجية
, وتنيها أعلى الثريات الأثرية الرائعة , كان
أدوني نيري يجلس قربها ويبدو أكثر جاذبية
ووسامة من جميع الرجال الآخرين , ألا أنه
كان عليها أن تتوخى الحذر في تصرفاتها معه

, وخاصة أن أمه نظرت مرة أو مرتين بعينين
قاسيتين نحوهما عندما رأتهما يتسامران
ويضحكان.

ألا أن اهتمام دونا كان مركزا على الرجل
الذي يجلس قرب سيرافينا , لم يشترك إلا
نادرا في الأحاديث الشيقة والمثيرة التي كان
يتبادلها الضيوف فيما بينهم ومع مضيفتهم
الجميلة , كان يأكل طعامه بهدوء بلغ ويبدو
متحفزا متأهبا ... ومتيقظا لكل حركة ,
ويبدو واضحا أن سيرافينا تنسيه جميع النساء

الأخريات عندما تكون قربه , تأملت دوناً
وشعرت بأن كرامتها جرحت لأنه ل ينظر
إليها إلا بشكل عابر , بالرغم مما قاله لها في
روما أثتء الرقص وبعده , تحوّل سحره
الذي تتذكره بوضوح الى برودة مزعجة ,
وأرادت دوناً أن تكرهه لأنه ينظر إليها ,
وكأنه لم يطوقها أبداً بذراعيه لساعات طويلة
وهما يرقصان على أنغام مقطوعات موسيقية
حاملة..... أو لم يترك لها تلك الوردة
البيضاء!

قررت أن ترمي الوردية في سلة المهملات ,
عندما تعود الى غرفتها في وقت لاحق ,
وتساءلت عما اذا كانت سيرافينا تدرك بأن
حارسها الأمين كان يتصرف في روما كبقية
شبانها.. يغازل نساء غيرها , أنه يبدو هنا
غير مكترث إطلاقا ببقية النسل , ولكن
غيرة سيرافينا قد تكون قوية جدا , وتمنعه من
الأعتراف علنا بأنه يعرف سكرتيرتها ,
وتذكرت دونا بعض القصص التي سمعتها عن
سيرافينا , ومنها أن النجمة العالمية لم تجعل

منافسيها يكون فحسب ولكنها عملت
أيضا في بعض الأحيان على تحطيم مراكزهم
ومستقبلهم.

حوّلت دوننا نظرها عن ذلك الوجه الأسمر
اللامبالي الى تلك السيدة , التي يمكنها أن
تجد دائما رجالا يركعون أمام جمالها وسحرها
..... ويجبون قساوتها وتعنتها بقدر ما يحبون
روعتها وقوة شخصيتها الجذابة , كان الطعام
شهيا للغاية والخدمة ممتازة , ألا أن دوننا
أكتفت بالقليل وأمضت وقتها بالتحدث مع

أدوني نيري , ومع ذلك , ظلّ السؤال الكبير
يعذبها ويؤلمها ... هل ريك لورديتي حقا على

علاقة بسيرافينا؟

سألها رجل أنيق المظهر بلهجة هادئة:

" هل تعملين في السينما أيتها الجميلة , أم

أنك تشتركين في أفلام تلفزيونية دعائية؟".

نظرت دوننا الى عينيه مباشرة وقالت له بهدوء

مماثل:

" أنا هنا لمساعدة السيدة نيري في كتابة
مذكراتها , كنت أعتقد أن الجميع يعلمون
أنني سكرتيرتها".

ضحك الرجل وقال بخبث ظاهر:

" سكرتيرة؟ لا شك في أن مضيفتنا الكريمة
تمارس الديمقراطية الحققة بدعوتهاموظفيتها الى
تناول العشاء معها! من المؤكد أن لذلك
علاقة بالتأثيرات الخارجية على سياسيتنا هذه
الأيام , أم أنكم تعتقدون أن السبب عائد
الى نفوذ المافيا؟".

ضحك بعض الذين كانوا يجلسون قرب هذا
الشخص الخبيث , ألا أن لورديتي نظر اليه
فجأة بطريقة أفرعت دونها نفسها , لم يقل
شيئا , ولكن ذلك الشخص المخنث أرتبك
الى درجة كبيرة بحيث أن كوب العصير أفلت
من يده المرتجفة فتحطم على الأرض بعد أن
تناثرت محتوياته على الطاولة... أسرع خادم
للأهتمام بالأمر , فيما أنحن سيرا فينا قليلا
نحو ريك لورديتي وهمست شيئا في أذنه ,

أبتسم الرجل بسخرية واضحة , وشعرت
دونا أن سيرافينا لن تترد في طرد جميع
ضيوفها من الفيلا إذا تعكر مزاجها , ألا أن
الرجل الجالس قربها هو على ما يبدو , جزء
لا يتجزأ منها ومن القصر , أنه كل شيء
بالنسبة اليها , أما هؤلاء الضيوف الذين
دعتهم الى الفيلا لتسليتها والترفيه عنها ,
فليسوا سوى دمي تحركهم بأصابع يديها
وترميهم خارجا ساعة تشاء , نظرت سيرافينا
الى الرجل الأنيق المرتبك وخاطبته بأسمه:

" يا عزيزي كونتي , يجب أن تكون حذرا جدا
عندما تقول شيئا ما أمام ريك , فجدته ,
كما تعلم , كانت ساحرة صقلية وعلمته
بعض حيلها وألعابها , كما أنني أنصحك
بعدم ذكر المافيا أمامه لأنه والعصابة عدوان
لدودان , وقد يدق عنقك إذا شعر بأنك
تشير من قريب أو بعيد الى أي ارتباط له مع
هذه المنظمة الشريرة , أن ريك يا عزيزي
كارلو , هو السيد المهذب الراقى الوحيد
الذي ألتقيته في حياتي ."

أحمر وجه كارلو كونتي , وأرتعشت شفتاه ,
وقالت دوننا لنفسها أنه إذا كان كونتي أحد
أبناء العائلات الراقية , فلا عجب في أن
تختار سيرافينا الى جانبها مسلحا صقليا
يناسبها من حيث القساوة..... والأخلاص
, وأحست دوننا بقشعريرة خفيفة عندما
شاهدت أصابع سيرافينا تداعب يد لورديتي
وكأنها تقول أنه لها... لها وحدها!
أحضر الخادم الحلويات المغطاة بطبقة سميكة
من القشدة الشهية , فأمتعت معظم

السيدات حتى عن النظر اليها... تجنبنا
للسمنة وحفاظا على الرشاقة , ألا أن دوننا
غرزت ملعقتها في لقشدة والفاكهة اللذيذة ,
وراحت تأكل بشهية كبيرة , ضحك أدوني
وقال لها:

" أنه لأمر منعش حقا أن نشاهد امرأة لا
تخشى التمتع بالأكل ."

أبتسمت وقالت ممازحة:

" ألم تسمع أن السكرتيرات يتضورون جوعا
عندما تقل الوظائف ولا تخفض أيجارات

البيوت؟ في أي حال ، أنا أحب هذا النوع
من الحلويات كثيرا".

" هذه القشدة مصنوعة من حليب أبقارنا ،
تملك أمي مزرعة كبيرة في الوادي ، ويجب أن
أخذك اليها مرة لمشاهدة كافة القطعان
الموجودة هناك ، هل تركبين الخيل... يا
دونا؟".

لم يأخذ سوى فترة قبل أن يبدأ بمناداتها على
هذا النحو ، ولكن ، ماذا بإمكانها أن تفعل؟
لديه سحر أمه وجاذبيتها ، ولكنه لا يدرك

أنه قد يفقدها وظيفتها إذا خصّصها بأي

أهتمام زائد , ذكّرتَه بسبب وجودها في

الفيلا:

" أنا هنا لأعمل , ولست ضيفة مقيمة ,

وعليك الإدراك أن والدتك لن توافق على

قيام..... قيام صداقة بيننا , أنني أوافق

ذلك السمج كونتي على ما قاله قبل قليل...

يجب أن أتناول طعامي مع بقية العاملين

هنا".

"ومع من سأحدث أثناء العشاء؟ مع بعض
المتزوجات المملات، اللواتي يبحثن عن
علاقات مع شبان لهم أعمار أولادهن؟".
"يسرني جدا أنك لم تصنفي معهن، أرجو ألا
توجه إليّ عناية أكثر من المتعارف عليه، وإلا
تسببت في أفقادي وظيفه أحبها، وأسعى إلى
الأحتفاظ بها حتى النهاية، لم أعمل في
أيطاليا أبدا من قبل، وخاصة مع شخص
مثل والدتك، أنا أعرف أنها حادة المزاج

وأنها بدأت تتساءل عما إذا كنت أغازلك أم

لا , يا سيد نيري".

" ألا تغازليني الآن , يا آنسة ؟ كنت آمل

ذلك , أوه , كيف يتحوّل بريق العينين فجأة

الى نظرات جافة وقاسية ! يا لنعومة بشرتك

ورقتها ! أنها تشبه تلك القشدة التي أكلناها

قبل قليل".

أقترب منها وكأنه يحاول لمس بشرتها ,

فتراجعت بسرعة عنه وهي تهمز رأسها أنزعاجا

وتأنيبا , وتطلّعت فجأة نحو الرجل الأسمر ,

فأحمرت وجنتاها , كان يتأملها بتمعن
وروية... أذن ما زال يتذكرها , حسبت
أنفاسها ضيقا وأنقباضا , ماذا يريد منها هذا
الرجل ؟ صداقة سرية مع السكرتيرة الجديدة
التي يرفض التصريح علنا أمام سيده بأنه
يعرفها؟ شعرت بأن كرامتها طعنت في
الصميم وبأنها كانت غارقة في الأوهام
والأحلام , وجهت إليه نظرة تأنيب قاسية ,
ولكنه ابتسم بخفة وكأنه لا يبالي بأنزعاجها ,
وعندما تحوّلت سيرافينا عن جوارها الآخر إليه

مجددا , عاد يكرّس كل أهتمامه وأنتباهه اليها
..... وحدها.

ثارت حفيظتها مرة أخرى , وقالت لنفسها
..... ليذهب الى الجحيم , كيف يجرؤ
على الافتراض بأنه قادر على أذابتها بمجرد
أن يغمزها قليلا..... ومن وراء ظهر
سيرافينا ؟ تجاسرت دونا وتحوّلت الى أدوني
حيث أمضت وأياه بقية السهرة يتسامران
ويتحدثان بمرح واضح وهي غير
مبالية بأنزعاج سيرافينا من ذلك.

أزيلت السجادات عن الأرضية الخشبية
للقاعة الكبرى , وعزفت المقطوعات
الموسيقية الحاملة التي كانت ناجحة أثناء تربع
سيرافينا على عرش هوليوود , رقص الضيوف
الى ما بعد منتصف الليل , لم تتراجع دوننا
عن جسارتها وتهورها , فتمتعت بوقتها حتى
النهاية , لم ترقص فقط مع أدوني , ولكنها
قبلت أيضا دعوات من رجال آخرين , ظلت
على تلك الحال الى أن حاول أحد الرجال
التمادي معها , داست بقوة على رجله

لتضع حداً نهائياً لتصرفه الأرعن ، فتركها
شامتا وركضت بسرعة إلى الشرفة.
شعرت دوناً بأنها متعبة ومرهقة بسبب الرقص
ومحاولاتها الجاهدة للتحدث مع مع أولئك
الرجال الذين لا يعرفون إلا الإيطالية ،
وفرحت لوجودها وحدها ، فأغمضت عينيها
وتنفست بقوة مرات عديدة لتملاً رثتها
بالنسيم المنعش وبرائحة الزهور الغنية العطرة
، مرت بضع دقائق قبل أن تلاحظ أن رائحة

مزعجة أختلطت بعطر الزهور , رائحة تبغ

محترق.....

نظرت الى الورااء فرأت رجلا طويل القامة ,

تسارعت دقات قلبها بعصبية لأنها عرفت

على الفور أنه ريك لورديتي , سيطن أنها

تبعه , مع أنها كنت تريد دائما الأبتعاد عنه

وتجنبه!

" لا تذهبي , إبقي حيث أنت لأخبرك بأننا

نكون حكيمين إذا تظاهرنا بأننا لم نلتق من

قبل , أنت بحاجة لوظيفة جيدة هنا على

سواحل صقلية , وهي لك ولكن من
الأفضل لنا أن نظل غريبين أمام سيرافينا".
سألته ببرودة أعصاب قاسية ومذهلة:
" لماذا؟ ألن توافق صديقتك على ذلك؟ ألا
تعلم سيرافينا أنك تحاول أصطياد الفتيات
الغربيات عندما تكون في روما ومتأثرا بأجواء
المغامرات العاطفية؟".
" كما قلت لك آنذاك , يا عزيزتي دونا ,
نحن لسنا غريبين عن بعضنا , أنت شعرت
بتلك التفاعلات الكيميائية ذاتها التي شعرت

أنا بها , لم ألحقك من الفندق , ذهبت الى
ذلك الملعب بدون أن أعرف أنك كنت هناك
, ولكنك كنت هناك... كان لا بد من ذلك
كي نلتقي ثانية".

نظرت اليه بعصبية وقالت:

"أوه , توقف عن مثل هذه الأحاديث! أنك
تفرعني , أنا أعرف أنك تحمل مسدسا ,
وأعرف كم تأخذ أجرا لأستخدامه , فلا تقل
لي أنني ألتقيت أحدا مثلك من قبل , أنت

لست من النوع الذي..... الذي أريد

مصادقته!" .

" كرري هذا الكلام كثيرا لنفسك يا حبيبي ,

فقد تصلين الى مرحلة تصديق نفسك , يظن

الناس عادة أن بإمكانهم طرح مشاعرهم

وأحاسيسهم جانبا كتفاحة أو عنقود عنب

أصيبا بالأهتراء , ولكن المشاعر جزء من

الإنسان , ستشعرين أنك تمزقين قطعة من

جسمك عندما تحاولين عدم الأهتمام

بشخص ما" .

" الأهتمام؟ هل لديك الشجاعة الكافية
لتقول أنني أنني أهتم بك ؟ أنت آخر
رجل على وجه الأرض أفكر بالأهتمام به!
أنت قاتل محترف!".

" أنا أنسان مثل الآخرين , تمر عليّ ليال
كثيرة لا أفضل خلالها أي شيء آخر في
الدنيا سوى وضع رأسي على كتف حنون
دافىء".

" ومسدسك تحت الوسادة؟".

" كانوا يستخدمون السيوف في الأيام

الماضية".

" هل تتصور نفسك هكذا... الفارس

الأسود الذي يحمي سيرافينا نيري؟".

" أنه وصف رومنطقي أليس كذلك؟".

" أنه أفضل من أن أصفك بالشقي أو المجرم!

هل كنت في شيكاغو من قبل , يا سيد ؟

توجد لكنة في لهجتك توحى بذلك".

" يا للنساء , ويا للحشرية! نعم , ألتقيت
سيرافينا في الولايات المتحدة , ولكن في
نيفادا.... في أحد النوادي الليلية".
" هل كنت الرجل القوي في النادي الذي
يطرد المشاغبين والمشاكسين؟".
" أنت..... شيطانة صغيرة!".

أقرب منها ولكنه سارع في العودة الى الزاوية
المظلمة , عندما سمعا صوتا يقترب منهما ,
وصل أدوني قريبا وقال بصوت ناعم:

" وأخيرا وجدتك , أني سعيد لأنك لم
تتسلي الى سريرك بدون أن تتمني لي ليلة
سعيدة , يا هذه الليلة الرائعة , يا دونا !
أنظري الى القمر كيف يختفي رويدا بين
النجوم! ".

كانت دونا لا تزال ترتعش داخليا بسبب ما
سمعته من ريك لورديتي , وكانت تعرف أنه لا
يزال بإمكانه سماع كلامها , أمسكت بذراع
الشاب المدلل وقالت له:

" أني متعبة كان اليوم طويلا جدا

بالنسبة الي , وأنا مضطرة الآن للدخول

و..... "

ضمّها اليه بقوة وهو يقاطعها قائلا:

" ليس قبل أن تقبليني قبله المساء."

حاولت التملص من ذراعيه وهي تقول:

" أنا لست من ذلك النوع من الفتيات

اللواتي يقبلن كل رجل يلتقينه , دعني!" .

ضغط بذراعيه عليها رافضا أفلاتها بالسهولة

التي توقعتها , نظر اليها بعينين جائعتين ثم

أقرب من وجهها إلا أنه قبل أن يفعل ذلك

سمع صوتا قاسيا يقول له:

" دع السيدة وشأنها ! ألا تلاحظ أنك

تزعجها؟".

أستدار أدويني نحو الزاوية المظلمة وسأل

بصوت عال:

" من أنت؟".

أقرب لورديتي قليلا حتى سطع ضوء القمر

على وجهه الأسمر , الذي تعلوه أبتسامة

مفرعة , صرخ أدويني وكأن سوطا لسعه:

" أنت ! هل تقوم الآن بعملياتك التجسسية
المعتادة يا لورديتي ؟ لا تجرّب هذه
السخافات معي ! دعني أخبرك لو
كانت الأمور بيدي ! لكنت أنت على بعد
مئات الكيلومترات عن والدتي بدلا من
أن تدخل غرفتها وتخرج منها وكأن لك الحق
في ذلك ! أنت لست سوى مجرم تدفع لك
بسخاء كي تكون حارسها ومنقذها! ".
" أخرس , أيها الديق الصغير المنتفخ ! متى
عملت أنت كي تحصل على دخل يعينك ؟

من المؤكد أن لديك أمتيازات معينة , ولكنها
لا تسمح لك بفرض وجودك على الأنسة
هدسون , أنها تأكل خبزها بعرق جبينها ,
وليس مثلك أيها الطفيلي !".

" اللعنة عليك ! كم أتمنى أن أدق عنقك أيها

السفاح ! أنت لست إلا عاشقا رخيصة

يعيش على أموال السيدات المسنات !".

" أنك تمثل دورا أكبر منك أيها الصغير ,

سوف تعتقد الأنسة هدسون أن جميع الرجال

الأيطاليين هم على شاكلتك , فلماذا لا تهد

قليلًا قبل أن يعاد تخطيط وجهك الجميل الى
شكل لا تحبه إطلاقًا! "

" اللعنة عليك ! أني أكرهك ! "

ثم حاول توجيه لكمة قوية الى فك الرجل
القاسي , الذي قفز جانبا ولكمه على أنفه
فأدماه , وضع أدوني منديله بسرعة على أنفه
ونظر الى لورديتي قائلا له , والشرر يتطاير
من عينيه:

" لن تمر هذه المسألة بسهولة , سأجعل

سيرافينا تطردك! "

" حاول ذلك , يا بني ."

نظر بهدوء الى دوننا , التي كانت تراقب النزاع
بمزيج من الخوف والأثارة , لم تشعر بالأسف
أتجاه أدوني لأنه أساء التصرف معها , ولكنها
أصيبت بصدمة مذهلة ناجمة عن مسارعة
ريك لورديتي للدفاع عنها , قال لها :

" هل تريدان الدخول؟ "

هزّت رأسها وسارت معه على الشرفة , فيما
كان أدوني يجفف الدماء التي سالت من أنفه

, وعندما تطلّعت الى الورااء , ضحك ريك

بقساوة وقال:

" من شأن هذه الكمية القليلة من الدم أن
تخفف من عصبيته وتوتره , لم تكوني مسرورة
بهجومه عليك , أليس كذلك؟".

" طبعا لا ! أشكرك على تدخلك ولكن....
ألست قلقا من تسببه لك ببعض المشاكل
مع أمه؟".

" أبدا على الأطلاق , لا يمكن لهذا الشاب
الأرعن أن يثير أي متاعب بيننا , أنه ليس
الشخص الذي يمثل أي مشكلة".
" هل تعني..... أنه لا يثير أي مشاكل
بينكما إلا..... وجود امرأة أخرى؟".
" بلضبط".

شعرت دونا بأن تلك الكلمة كانت كافية
لوصف الوضع بكامله , أحست وكأن يدا
قوية عصرت قلبها عندما نظرت الى ريك
وشاهدت تلك الأبتسامة الخفيفة على وجهه

, أنه قاس جدا , ولكن ثمة رقة لا تصدق في
أعماقه تذيب أحاسيسها ومشاعرها , كادت
تتعثر وتقع , ولكنه أمسك بمعصمها بقوة
..... وبنعومة أيضا , همست بصوت

خافت:

" لم أكن أظن أنني..... أنني سأراك

ثانية".

" أنا كنت أعلم بأنني سأراك , , بحثت في
سجلات الفندق ووجدت أسمك.....

هدسون , كنت أعرف أن شابة بهذا الأسم
سوف تأتي الى الفيلا للعمل مع سيرافينا".
" ربما كان من الأفضل لي أن أعود الى
بريطانيا , هذا هو يومي الأول هنا , وها قد
تسببت في أيقاع الخلاف بينكما... أنت
وأدوني ."

" الحياة مليئة بالمشاكل , ولا مجال للتهرّب
من الحياة".

" أنت تختلف كثيرا عن بقية الرجال , لم
أعرف في حياتي إلا طلاب جامعة , وممثلا

فكاهيا كان يظن بأنه جذاب لا يمكن
مقاومته..... مع أنه كان مملا ومزعجا جدا ,
أنني مرهقة جدا الآن , وسأذهب الى النوم ,
سأعود غدا أن شاء الله الى وضعي الطبيعي!
" صحيح , فكل شيء يبدو طبيعيا أكثر في
النهار , المشكلة الوحيدة هي أن نجوم الليل
تنسينا أفكار النهار , تصبحين على خير يا
آنسة".

" تصبح على خير , يا سيد".

هربت دوناً من هذا الرجل مجدداً
ولكنها تدرك هذه المرة أنها سوف تلتقاه
صباح اليوم التالي ، وكانت متأكدة أنها
ستجده في ضوء النهار أكثر جاذبية وتأثيراً
عليها من أي أنسان آخر عرفتة في حياتها ،
تذكرت تسارع نبضها عندما كان يمسك
بمعصمها ، لم يكن ذلك منطقياً ، فهي لا
تعرف الرجل إلا قليلاً وهو رجل لم
ينف أن سيرافينا تأتي أولاً ، وأنها صاحبة
الحق في توجيه إرادته ورغباته.

3- حارس أو والد !

أنهمكث دونا في عملها خلال الأيام التالية ,
مستخدمة أجمل مكتب شاهدهة في حياتها ,
كانت الطاولة من الطراز الذي أستخدم في
عصر النهضة , والجدران مغطاة بألواح من
الخشب الداكن , أما أرض الغرفة , فكانت
مغطاة بسجادة قديمة رائعة فيما
السقف عبارة عن لوحة فنية ضخمة تمثل
ووصيفاتها يجلسن بتكاسل على حافة جدول
ماء يعكس صورهن كأنه مرآة صافية.

ولكنّ الذي أثار دهشة دونا وإعجابها , كان
التمثال الحجري أمام الشرفة , الذي يمثل
فارسا يحمل سيفاً كبيراً , بمجرد أن شاهدت
ذلك التمثال , شعرت بأن قلبها غاب من
مكانه , تذكرت سؤالها لحارس سيرافينا عما
إذا كان يعتقد نفسه أحد فرسان القرون
الوسطى بالنسبة الى سيدته , أنها فكرة لا
بأس بها , تخلف كثيراً من الواقع المرير لما هو
عليه فعلاً , أنه رجل تستخدمه امرأة ثرية
لحمايتها , سريع ي استخدام المسدس ولا

يتوانى عن إستخدامه حتى للقتل , إذا دعت
الحاجة لذلك , أنه , بكلام آخر , رجل
خارج عن القانون من نواح عديدة , هل
يعيش هذه الحياة منذ فترة طويلة؟ كم مضى
عليه من الزمن قبل أن يصبح محصنا تماما
ضد الناس ومشاعرهم , وغير قادر على
التصرف بإنسانية وحرارة عاديتين..... كما
فعل ذلك المساء على الشرفة؟
ولاحظت دونا أنه لم يقترب منها كثيرا منذ
تلك الأمسية , وأنه لم يشر من قريب أو

بعيد في حضور سيرافينا الى اهتمامه بها , لم
تعرف كيف تشعر أزاء هذا التصرف.....
بأرتياح أم بأنقباض ! كان الأمر مثيرا حقا أن
يهب رجل للدفاع عنها..... رجل بعيد كل
البعد عن كونه شابا طائشا يفعل ذلك
لكسب ودها أو للأعتزاز بنفسه أمام
أصدقائه , جاء تصرفه معبرا تماما عما كانت
الحياة عليه سابقا , عندما كان الرجال
مستعدين للمبارزة حفاظا على شرف امرأة .

في أي حال , شعرت دوننا بأرتياح كبير لأن
تهديدات أدوني لم تكن مثمرة , وأذا كانت
سيرافينا علمت بالأمر من أبنها , فأنها
بالتأكيد لم تعرف السبب الحقيقي
للخلاف..... وإلا لكانت طلبت منها أن
تجمع حاجياتها وتذهب , لا بد أن أدوني
نسي التفاصيل أو معظمها , لأنه سأها لاحقا
عما إذا كان أزعجها تلك الليلة , رأت أن
من الحكمة إبلاغه بأنه لم يضايقها قط.

" لا بد أنني قلت لك شيئاً ضائق لورديتي ،
لأنني أتذكر أنه لكمي على أنفي ، أنا لا
أغبطه عندما أكون في وضع طبيعي ، لأنه
رجل خطير عندما يغضب ، هذا ما تحبه فيه
سيرافينا".

ثم أنحنى أدوني على الطاولة التي كانت دوننا
تجلس وراءها وتعمل بجد ونشاط . إلى أن
جاءها الوريث الشاب ، نظر الى أوراقها
بسرعة ثم حوّل نظراته الى عنقها الجميل وتمتم
قائلاً:

" إنه عمل أنيق للغاية , ولكن أليس من
المعيب جدا أن تسجن فتاة مثلك مع آلة
كاتبة , في حين أن الحياة في الخارج ممتعة
لدرجة كبيرة وهناك مطعم صغير على
الساحل يمكنها أن تتناول فيه أشهى أنواع
الطعام ؟ ما رأيك في أن تتناولي معي اليوم
طعام الغداء؟".

هزّت دوناً رأسها نفياً وبإصرار , لأنها كانت
تعلم أنه لن يدعها تعود الى الفيلا قبل

ساعات عدة , مما سيفقدنا وقتنا ثمينا للعمل
قالت بصراحة:

" والدتك ربة عمل كريمة , وأنا أتمتع بعملتي
معها فلديها ذاكرة قوية , كما تعلم , وهي
تتذكر أحداث الماضي البعيد وكأنها جرت
أمس".

هز كتفيه وبدأ يسير في الغرفة عاقد احاجبين
, قالت دوناً لنفسها أن من المؤسف جداً أن
سيرافينا لم تصر على ابنها ليعمل ويعيل نفسه
بجهد الشخصى , فهو يمضى حياته في إقامة

علاقات تافهة لا معنى لها مع أكبر عدد
ممکن من النساء , أو في الذهاب الى النوادي
الليلية والحفلات الاجتماعية السخيفة , ولم
تتمكن من حبس سؤالها في رأسها , فقالت
له:

" ألا تشعر أبدا بأي رغبة للعمل؟ ألا يقلقك
أهدار طاقاتك وصحتك على هذا النحو
الذي يؤدي جسمك وروحك وعقلك؟".
جلس في مقعد مريح أمامها وبدأت على
وجهه فورا ملامح الجدية والحكمة , على

الرغم من مشاعر الغنى والدلال التي كانت

تخيم فوقه ثم تمت بصوت منخفض:

" أنه دليل مشجع عندما تريد الفتاة أنقاذ

الرجل من نفسه , ما هو نوع العمل الذي

تقترحين عليّ أيجاده".

" أنك ماهر جدا في كرة المضرب , فلماذا لا

تدرّب الآخرين في هذا المجال؟".

" وأحتفظ في الوقت ذاته بجسد سليم وعقل

سليم , أليس كذلك؟ أعتقد أنك إحدى

المبشرات الصغيرة ، هل تحاولين إنقاذ
روحي قبل أن تلتهمها نيران جهنم؟".
" أني جادة في حديثي ، بإمكان رجل مثلك
أن يؤسس بسهولة ونجاح ، أحد أفضل
النوادي الرياضية في هذه المنطقة ، عندما
تكون لديك مهارات ، يجب أستخدامها ،
أما إذا كنت تفضل أضياع وقتك سدى ،
فهذا شأنك يا سيد نيري".

اختفت الأبتسامة الساخرة من عينيه
الخضراوين وراح يتأملها بجدية وهدوء ، ثم

وجّه اليها ما لا يمكن وصفه إلا بنظرة أيطالية
مذنبه , وقال لها :
" يمكنني أن أضعك بين قطعتي خبز حمصتين
وألتهمك دفعة واحدة !".
قفز الى جانبها وعانقها بسرعة , قائلاً لها:
" أنك , رائعة , مثيرة ! أنت على حق ,
فحياتي كانت ضياعاً وهباء قبل أن تدخلها
, حان الوقت كي أستقر , فهل تقبلين
الزواج مني؟".

ضحكت دوناً وقالـت :

" لا بد أن الصدمة ستقتلك لو قلت لك
شكراً وهياً بنا إلى أقرب كاهن على الفور".
" لا ، ولكنني سأشعر بسعادة بالغة ، أنت
فتاة تحب مدى الحياة ، أليس كذلك؟ هل
أنت خائفة من أن أدوني سيكون زوجاً متعباً
يبدأ مع نهاية الأسبوع الأول لزوجته في
ملاحقة النساء الأخريات؟".
" من المتعارف عليه أن العادات القديمة لا
تموت إلا بصعوبة بالغة".

وتذكرت فجأة ريك لورديتي ، فأنتبهت

لنفسها وقالت له بلهجة مختلفة:

" يجب ألا تكون هنا ، يا سيد ، تتحدث

بمثل هذه التفاهات وتقاطع عملي ، سوف

تشعر أملك بأستياء كبير ، إذا أتت الى هنا ،

ولاحظت أنني أضيع وقتي معك ، بدلا من

أن أطبع لها هذا الفصل من الكتاب ، أنها

تريد مراجعته في وقت لاحق اليوم".

" إذا تزوجنا يا دونا ، فلن تعودني مضطرة

للعمل طوال حياتك".

" حقا , وهل ستقبل أمك أن تبقىنا معا على
نفقتها..... ويمثل هذه البجوحة؟".
" أنت قاسية جدا , أيتها الحبيبة! كنت
أعتقد أن قلبك رقيق كبشرتك ! أوه , كم
أتمنى أن أجعلك تذوبين حبا بي ! أنت مثيرة
بشكل مذهل ! هل تعرفين ذلك؟".
خاطبته دوننا بحدة ظاهرة وتوتر واضح:
" أرجوك توقف ! أنت تشعر بالضجر ولا
تجد شيئا أفضل من الحضور الى هنا , والتفوه

بكلمات سخيفة تافهة..... أنظر الآن ماذا

جعلتني أفعل!".

أرتكبت عدّة أخطاء لا يمكن تصحيحها

بدون تشويه الورقة بكاملها , نظرت اليه

غاضبة وقالت:

" أذهب , أرجوك !".

" لدي شرط واحد".

" أرفض قبول أي شروط كي أنعم بقليل من

السكينة والهدوء , يا سيد".

" أذن سأبقى هنا وأحرمك من الهدوء , يا

آنسة".

" أنك حقا شاب مدلل , لو كان أبي مسؤولا

عن تربيتك , لجعلك بالتأكيد رجلا بكل ما

في الكلمة من معنى".

" آه , ولكن ليس باليد حيلة إذا كنت

أجداك شابة ممتعة , وأشعر بحاجة للبقاء معك

, عديني بأنك سوف تتناولين معي طعام

العشاء , وسوف أتركك على الفور مع هذه

المذكرات المثيرة للفضائح".

" أنها ليست كما تقول ".

" أنتظري قليلا , يا صغيرتي حلوة ,

وستجدين أنني على حق.... عندما تبدأ

سيرافينا في التحدّث عن عالم السينما , لدى

أمي الجميلة الساحرة , كما لأي نجمة

مشهورة أخرى , حاجة كبيرة لتظل محط

أنظار الجماهير , تريد والدي العزيزة أن

تصبح مذكراتها من أروع القصص وأن تباع

منها ملايين النسخ , ولا يمكن تحقيق ذلك في

هذا العصر وهذه الأيام , أن لم تكن هناك

مقبّلات مثيرة وفضائح! أعدّي نفسك
للصدمة , يا صغيرتي البريئة , عندما تبدأ
السيدة نيري بكشف أسرار مثيرة عن
أشخاص عملت معهم أسرار لا يمكن
لهؤلاء الأشخاص نفيها أو الاعتراض عليها ,
لأنه لدى أمي فضيلة مثيرة للدهشة
والاستغراب وهي أنها لا تكذب
أبدا! ".

" أنا لست جاهلة وغبية , كما تعلم , لم أكن
أتوقع أبدا أن تكون مذكرات ممثلة مشهورة

عبارة عن مقالات علمية خالية من الأثارة ,
كان أبي يعمل في عالم صناعة الأفلام وأعرف
بالتالي بعض الأمور التي تجري هناك".

" صحيح أذن ما يقوله هيتشكوك الذائع
الصيت عن الشقراء التي تبدو باردة وهادئة
الأعصاب..... أنها في داخلها شعلة نار
حارقة ! " .

" سأشتعل فعلا يا سيد , أن لم تذهب
وتتسلّ في مكان آخر , لديّ عمل يجب
أتمامه خلال وقت محدد".

" قلت لك أنني سأذهب كصبي مطيع إذا وافقت على تناول العشاء معي , لا تكوني متعجرفة , أقبلي دعوتي وقولي أنك ستأتين".
أبعدت ذقنها بعصبية عن يده وسألته بحدة:
" ألم تقاومك أي امرأة من قبل؟".

برقت عيناه الجميلتان بأبتسامة تحولت فجأة
الى قساوة وبرودة وقال:

" لا ترغميني على التخلي عن تواضعي أيتها
الحبيبة , هل يوجد شيء أفضل لفتاة تكد
وتتعب طوال النهار , من أن ترتدي ثوبا

جميلا , وتقفز الى سارة سريعة , وتذهب مع
شاب وسيم الى مطعم جيد ؟ هل يمكنك
مقاومة ذلك؟".

فكرت دونا قليلا ولاحضت أنه لا بأس على
الأطلاق بقبول هذه الدعوة المغربية , ولكنها
تعرف أن أدوني نيري يميل كثيرا الى المغازلة
والمداعبة , وأنها بالتالي غير راغبة في أن
تمضي أمسياتها على إحدى الطرقات الجبلية
الجانبية تدافع عن شرفها وكرامتها , عاد
يسألها بهدوء:

" أسألي نفسك أيّهما أهون الشرّين ! أن
تجدني أمي معك هنا , أو أن تقومي معي
بنزهة جبلية هادئة ؟ توجد مجازفة في هاتين
الحالتين , وسأترك لك حرية الاختيار
بينهما".

تطلّعت دوناً حولها في تلك الغرفة الساحرة ,
ونحو الفارس الأسود الذي يلمع تحت أشعة
الشمس الجميلة..... وسخرت من فكرة
الخوف من أدوني , أحسّت فجأة بأن ما

يهمّها حقا هو البقاء في الفيلا طوال فترة
عملها , نظرت اليه فبدا لها شابا وسيما لم
يضر أحدا من قبل , سألته بهدوء:
" متى تريدني أن أكون جاهزة؟".

لمعت عيناه ببريق ساطع وقال لها بأرتياح
ظاهر:

" إذا كنت مستعدة حوالي الساعة والنصف
, فسوف نتمكن من تمضية وقت طويل معا ,
الى اللقاء أيتها الحبيبة ".

غادر الغرفة على الفور وعادت دوننا الى
عملها..... وهي ترفض حتى مجرد التفكير
بمدى سلامة قرارها , ولكنها ذكّرت نفسها
بأنها لن تجد فارسا يهب للدفاع عنها في تلك
الطرقات الجبلية النائية , وأبتسمت.....
هكذا تعتبر ريك لورديتي , الذي قد يكون
أخطر بكثير من مئة أدويني معا , ما من امرأة
بمثل مركز سيرافينا تستخدم حارسا شخصيا
لا يكون قادرا على استخدام كافة أساليب
العنف والقساوة مع الذين يحاولون إيذاءها ,

وتذكرت ما أخبرها إياه أدوني عن تمكّن ريك
من أنقاذ سيرافينا بسلام , من أيدي عصابة
من الأشرار..... حتى بعد أن تلقى طعنة
قوية في صدره , وأحست دوننا بشيء يطعنها
تحت ضلوعها , أنها لا شك غبية وسخيفة
للمغاية إذا كانت تعتقد بأن لرجل مثل لورديتي
أي اهتمام حقيقي بفتاة مثلها , سيرافينا هي
المرأة الوحيدة في حياته , ومن له امرأة مثل
سيرافينا الرائعة الجمال والذائعة الصيت

وصاحبة الثروة الطائلة , لن يعير أي اهتمام
يذكر لفتاة بريطانية أقل من عادية.
أدارت دوناً آلة التسجيل وراحت تستمع
بانتباه بالغ للأحداث التي مرّت في حياة
سيرافينا , عندما كانت سيرافينا فتاة صغيرة
في صقلية , تصورت ريك يعيش حياة مماثلة
, أنهما شخصان يعرفان مدى صعوبة الحياة
في محيط يعمه الفقر والحرمان , ويتقبّله
الجميع بأرادة قوية وشجاعة فاقة , أستغلت
سيرافينا جمالها للأبتعاد عن الضجيج ,

والمجاعة والأزقة الوسخة ، أما ريك ، فقد
أستخدم قوته وقساوته وكان رجلا يعرف
كيف يشق طريقه عند حلول الظلام في
أدغال المدن الكبرى ، كان بالتأكيد عنيفا
كبقية تلك المخلوقات التي تخرج من
الشوارع المخيفة بحثا عن الضحية أو الطريدة
.... أو الروح الضائعة ، كان يختار العزلة في
كثير من الأحيان ليقف كهذا التمثال
الحجري البارد ، الذي لا تتمكن حتى
الشمس الساطعة من تدفئته.

هزّت دوناً رأسها بقوة ، وتمنت لو أن
بأماكنها طرد هذا الرجل من أفكارها ، بمثل
السهولة التي طردت فيها وريث الممثلة
الشهيرة..... عندما عرض عليها الزواج ،
وكأنه يطلب قطعة حلوى ، ولكن ريك
لورديتي لم يكن أبداً مثل أدوني ، أنه رجل
تحفل حياته بذكريات خلقت جروحا وآثاراً لا
يمكن أزالتها أو محوها ، لا شك في أنه واجه
في ماضيه بعض الأحداث الرهيبة التي حوّلتها
إلى رجل قاس ودفنت في أعماقه جميع

المشاعر الرقيقة والناعمة حتى أختفت
تماما وأصبح كتلك الصخرة في الحديقة ,
تحوّل حجرا قاسيا وباردا , ولن تعود الى
عينيه أبدا تلك الشعلة الجميلة التي تجذب
الفتاة اليه ليذيبها بحرارة نظراته .

وضعت دونها يدها على عينيه وكأنها تريد
حجب رؤيته عنها , من المؤكد أنها متأثرة
بشيء ما في الأجواء الأيطالية المثيرة , أنه
يعجبها الى هذه الدرجة , لأنها لم تعرف في
حياتها رجلا مثله , أنه ليس فارسا من القرون

الوسطى يرتدي الدروع الواقية ويستل سيفه
للدفاع عن المظلومين بل هو قاتل
محترف يهتم بأمرأة ثرية , بأكثر من ناحية !
قال أدوني أن ريك يدخل غرفة سيرافينا
ويخرج منها بحرية تامة , ويجب أن تكون بريئة
كطالبة كي تعتقد أنه يدخل غرفة نوم الممثلة
الجدابة لمجرد البحث تحت سريرها أو في
خزانتها عن مجرم محتمل !
شعرت بالأرتياح عندما فتح باب الغرفة
ودخل الخادم الشاب وهو يحمل لها قهوة

الصباح وبعض المأكولات الخفيفة , ولما
شاهدت تفاحة كبيرة لذيذة لا تزال معلقة

بغصنها , أبتسمت وقالت:

" أوه , كم هي جميلة !".

" أرسلها اليك السيد".

قفز قلبها من مكانه وهي تعلل النفس بأمل

سخيف لا يمكن تصوره , سألته عمّن يكون

ذلك السيد , فأجابها بأستغراب بأنه السيد

نيري , تضايقت ضمنا ولكنها أبتسمت

وطلبت منه أن يشكر السيد نيابة عنها ,

تضايقت لأن قلبها تصرّف على هذا النحو
المزعج , مع أن عقلها قال لها أن أدوني هو
الذي يعتبر الفتاحة كتفاحة وأن في
جمعته حركات ساحرة عديدة تهدف الى
إضعاف مقاومتها.

حملت فنجان القهوة ووقفت أمام الباب
الزجاجي الكبير , تتأمل عبر أغصان الشجرة
التي تغطيها أزهار جميلة حمراء , ذلك الفارس
الحجري الصامت , لم تتصوّر نفسها أبدا
رومنطقية الى هذه الدرجة, إلا أنها بدأت

تتصرف على هذا الشكل منذ مجيئها الى
أيطاليا كفتاة في قصة عاطفية تجد
نفسها فجأة متعلقة بشخص غريب , دون
أن تجد سببا لذلك شخص أسمر طويل
القامة أزعجها وأثار أعجابها منذ اللحظة
الأولى التي نظرت فيها الى عينيه القاسيتين ,
هل هي على خطأ إذا ظنت أنه نظر اليها ,
وكأنه يريد امتلاكها مع أنه لن يتمكن أبدا
من ذلك؟

شعرت بألم حاد في قلبها ومسحت الدموع
من عينيها وهي تقول:
(توقف عن ملاحقتي كالكابوس! ".
وجدت نفسها فجأة في الحديقة وهي واقفة
أمام الفارس الأسود , رأسه كان منحنيا
بخوذته الحديدية الثقيلة , ويداه الممسكتان
بالسيف جامدتين لا تتحركان , كانت
العصافير وحدها ترفرف وتتحرك... أما
الفارس فقد ظل محتفظا بصمته وجموده ,
وتأهبه.

أعدت نفسها للسهرة المرتقبة وهي تشعر
بتوتر خفيف , ربما كان عليها أن تكون أكثر
حزما مع أدوبي , وأن تجازف بحضور أمه
فجأة ومشاهدتهما معا على أنفراد , ألا أن
التبرج والتزين لتناول العشاء خارجا لم يكونا
أمرا مزعجا حقا , وسرّها أن ترتدي ذلك
الثوب الجميل لأول مرة منذ أبتياعه في
باريس , وضحكت عندما تصورت نفسها
فتاة بسيطة جاهلة تسمح لهؤلاء الإيطاليين
الوسيمين بأخراجها عن برودتها الهادئة التي

تفخر بها كثيرا , ما من أحد يمكنه القول أنها
لا تبدو هادئة من حيث الشكل الخارجي ,
على الرغم من أن قلبها لم يعد متأكدا من
نفسه وذاته.

أرتبكت عندما شاهدت أدوني ينتظرها أمام
قاعة الجلوس ويبدو جذابا للغاية في سترته
البيضاء الرسمية وسرواله الأسود الضيق ,
أقرب منها بسرعة وشدّ على يدها بقوة
قائلا:

" كم أنت جميلة! أنت جذابة ورائعة , أيتها

الحبيبة! ".

" وأنت أيضا يا أدوني , تبدو جذابا ولا بأس

بك على الأطلاق ! ".

أبتسمت عيناه قبل شفثيه وقال:

" شكرا , هكذا يجب أن يكون الوضع دائما

..... أن يكون الشخصان مناسبين

لبعضهما , تصوري كم سيكون جميلا ورائعا

أبنا , أيتها العزيزة".

" أسمع ! لا أريدك أن تبدأ ذلك ثانية !".

رفض أحتجاجها ضاحكا , ثم فتح باب
القاعة وقال للشخصين الموجودين هناك:
" أنا ذاهبان "

كانت سيرافينا متمددة على كنبه وريك واقفا
قرب النافذة , نظر اليها بعينين فاحصتين ثم
وجّه نظرة سريعة الى أدوني , الذب قالت له
أمه:

" لا تقد سيارتك وكأنك تشارك في السباق
المقبل تعجبني دونا كثيرا كسكرتيرة ولا أنوي
أبدا أن أفقدها , أنني أتساءل في الحقيقة عما

أذا كان من الحكمة السماح لك بدعوتها
هذه الليلة , أنها مخلوقة طيبة جدا لم تفسدها
شروور الحياة , وكنت أعرف والدها وأعجب
به , ولا أظن أنه كان سيوافق عليك , أيها
الحبيب".

" سأحافظ على هذه الفتاة , يا سيرافينا ,
كما يحافظ ريك عليك! من المؤكد أنني لن
أجد مثلاً أعلى , أفضل من حارس أمي
وفارسها!".

رفع ريك حاجبه الأسود ونفخ الدخان بقوة
م أنفع الغاضب , ولكن سيرافينا نظرت اليه

وسألته بغنج ودلال :

" هل أنت حقا هكذا , يا ريك؟".

حوّل نظره اليها , فضحكت بأغراء وكأن

هناك نكتة لا يعرفها سواهما , ثم عادت

لتقول لأبنها:

" لا يوجد مثل ريك سوى عدد قليل من

الرجال , أيها الحبيب , ولكن لديك أنت

طبيعة دافئة ومتلهفة , ويسرّني جدا أن

أدّلك وأغدق عليك المال بدون حساب ,
لأنني ذقت طعم الفقر والحرمان فترة طويلة
في بداية عمري , كنت أتحرق في صباي كي
أحصل على جزء يسير مما هو متاح لك اليوم
, أذهب , يا أدوني , وتمتّع بسهرتك , ولكن
حاول أن تتصرف بلياقة وتهذيب مع هذه

الفتاة الطيبة".

" طبعاً , يا أمي".

أقرب منها وقبلها على جبينها , وسمعت دونا
الممثلة القديرة وهي تضحك بنعومة عندما

كانت تداعب وجهه الذي يحمل شبهها كبيرا
لوجهها , وفجأة جذبتها العينان الحادثان
بقوة , فلم تتمكن من مقاومتها , نظرت
دونا الى ذلك الرجل , الذي يبدو أن
سيرافينا تقيد جسمه وروحه بسلاسل من
الحديد , وتساءلت عن سبب عدم زواجهما
, هجرت سيرافينا زوجها منذ زمن طويل ,
ولكن الطلاق لم يعد مستحيلا في إيطاليا ,
فلماذا لا تطلق زوجها وتتزوج ريك ؟ أنه
بالتأكيد رفيقها وهل يمكن لأي رجل

يمضي هذا الوقت الطويل مع امرأة جذابة

ومثيرة مثلها بدون أي علاقة؟

كانت عيناه جامدتين وقاسيتين عندما ألتقت

نظراتهما , ولكنه أخذ ينظر الى جسمها

النحيل وكأنه يداعبها , فنظرت اليه بغضب

ورجاء وكأنها تقول :

(أياك ! لا أريد أن أعرف ماذا تشعر

سيرافينا عندما تضمها بين ذراعيك !).

شهقت عندما أمسك أدوني بذراعها وقال

لها:

" تعالي , حان الوقت لذهابنا".

كان يداعب وجنتيها بنظرات الوله والهيام ,
ولكنها لم تشعر بشيء , خرجت معه من
تلك الغرفة الكبيرة , ولكنها أحست بأنها
تركت وراءها جزءا حيويا بالغ الأهمية من
شخصيتها وذااتها , أنه جنون يثير الشفقة أن
تتعلق برجل يخص امرأة أخرى..... امرأة
متسلطة حادة الطباع ستغرز أظافرها في وجه
الفتاة الغريبة , وتمزقه أربا إذا ضبطت ريك
وهو يلمسها فعلا.

ولكن دوننا كانت متأكدة من أنه أراد أن يلمسها بيديه وليس بنظراته فقط , لاحظت شحوبا في وجهه وعينه عندما شاهد أدوني يمسك بذراعها , لا بد أن جسمها ارتعش قليلا وهي تفكر بذلك الرجل , لأن أدوني قال لها بأهتمام حقيقي قرب سيارته السريعة

:

" لا تخافي من لورديتي ... أنا أعرف أنك خائفة منه يا دوننا , لاحظتك كيف تنظرين اليه , لأنك ربما تشعرين بغرابة توعية هذا

الرجل , إذا كنت تريد الحقيقة بصراحة ,
فلا بد لي من القول أنه مثل شخصا في
حياته".

"أوه , لا !".

نظرت اليه بعينين حزينتين وكأنها تستجديه أن
ينفي ذلك , ولكنه هز رأسه مؤكدا كلامه
فيما كان ينظر اليها بجدية بالغة:

" حدث ذلك منذ زمن طويل أثناء عراق
جرى على أحد أرصفة الموانئ وأنتهى بمقتل
منافسه , وقع الرجل أرضا نتيجة لكمة قوية

من ريك , فأرتطم رأسه بحجر وقتل على
الفور , تم اعتقال لورديتي ومحاكمته بتهمة
القتل , ومع أنه لم تثبت أدانته بالقتل الفعلي
, إلا أن الجميع كانوا يعرفون أنه هو الذي
بدأ العراق... وأن لديه دوافعه لقتل ذلك
الرجل , يبدو أن الرجل كان عضوا في المافيا
ومسؤولا عن مأساة لحقت بعائلة ريك.
" مأساة ؟ هل تعرف التفاصيل؟ "

كانت تريد معرفة كل شيء يتعلق بماضيه
وحياته , مع أن كلمة مأساة تحمل في طياتها
أمورا محزنة وربما مخيفة.

" قتلت والدته , كانت نحّاة أميركية تعرّفت
على شاب من صقلية أثناء زيارتها لتلك
الجزيرة , وتزوجته خلال فترة قصيرة من ذلك
اللقاء , كانا يملكان حقلا صغيرا يضم عددا
قليلًا من أشجار الزيتون , وعندما توفي
زوجها بما وصف آنذاك بأنه حادث , ألفت
اللوم على عصابة المافيا وقالت أن أفرادها

قتلوه لأنه رفض دفع خوة لمنظمتهم ,
وتوفيت هي أيضا لأنها لم تخف الأفصاح عن
رأيها بالنسبة الى أولئك القتلة المجرمين , كان
ريك شابا يافعا وأقسم بأنه سيجد القاتل
وينتقم منه , وبالتالي , فما من أحد يشكك
أبدا بأن ريك كان سيقتل ذلك الرجل بيديه
لو لم يرتطم رأس القاتل بحجر ويلق مصرعه
على الفور".

توقف أدوني لحظة طويلة ثم تابع حديثه قائلا:

" كما ترين يا دونا , فأنت لست الشخص
الوحيد الذي يشعر بالتوتر أو الخوف منه ,
أن قساوتها الدفينة هذه هي التي تجعله كاملا
في نظر أمي , لا توجد كلمات مهذبة لوصف
أهميته بالنسبة اليها ألا بالقول أنه أساسي ولا
غنى عنه".

وضع أدوني يده على وجه دونا البارد ,
ومضى الى القول:

" أنها قصة مذهلة , ولكن ما يقوي شعور
أمي بالأطمئنان الى أمنها وسلامتها , هو

شهرة ريك بالقسوة والعنف , أما بالنسبة
اليك , فأني أؤكد لك أنك لست معرضة
لأي خطر من جانبه , فطوال السنوات التي
عرفته فيها , لم ينظر أبدا الى أي امرأة سوى
سيرافينا .

" وماذا يفعل عندما يذهب الى روما؟ " .
أنطلقت الكلمات من فمها بطريقة عفوية
وهي تتذكر النظرات الملتهبة التي وجهها اليها
, والتي كانت ستشتعل وتحرقها لو أنها
أقتربت منه بعيدا عن عيني سيرافينا

ومراقبتها المذهلة له , هزّ أدوني كتفيه وهو
يفتح لها باب السيارة الفخمة , وقال :
" من يدري ؟ أنه شريك في أحد النوادي
هناك , ولكن إذا كان يقابل نساء أخريات ,
وأذا كانت سيرافينا تعلم بذلك , فأنها لا
تذكر هذا الأمر إطلاقا , ثقتها فيه , حسبما
أعلم , واضحة ومطلقة , وهو , كما
لاحظت أنت بنفسك , يكرّس لها حياته
بصورة تامة , إذا ألتقى أفتراضا ببعض النساء
بين الحين والآخر , فإنه سيمضي معهن

بالتأكيد فترات عابرة تزول بسرعة بدون أن
تترك أي أثر أو أهمية , لم يحدث مرة هنا أن
همس أحد بأي احتمال ضئيل لعدم أخلاصه
لها , وأنا , من ناحيتي , أشك كثيرا في أن له
قلبا يخفق تحت ضلوعه الحديدية".

جلست دوناً في مقعدها حائرة صامتة , وبعد
لحظات قصيرة , كان أدوني يطلق العنان
لسيارته بعيداً عن الفيلا ... وسيرافينا
ولوردياي!

كان يقود سيارته بمهارة مدهشة على تلك
الطرقات الجبلية الملتوية , التي تؤدي الى
الساحل , نظر اليها وقال لها باسمها:
" ما يعجبني فيك كثيرا , أنك كعطر رائع لا
يمكن للرجل أن ينساه بمجرد أن يشمه مرة ,
وما يثير دهشتي وأستغرابي , أنك لا تزالين
عازبة وتتصرفين الى حد بعيد كعذراء خجولة
, هل أحببت مرة أتخاذ حبيب بريطاني
لك؟".

" أتعجب كثيرا لماذا يتصور الرجال الأجانب دائما أن الفتاة البريطانية .. متقدمة عن غيرها في هذا المجال ! أقولها بصراحة ودون تردد , أن تصرف أغلبية فتياتنا مشابه لتصرفات الإيطاليات , ننتظر حتى نقع في الحب قبل أن نبدأ في توزيع خدماتنا هنا وهناك".

" أوه ! ما أروعك , يا دونا , عندما توزعين خدماتك علي !".

قال لها الجملة فيما كانت السيارة تقطع
منعطفًا قاسيًا ، وبدت كأنها معلقة بين
السماء وصخور الشاطئ ، أغمضت دوناً
عينيها خوفاً وهلعاً ، ولم تفتحهما إلا بعد أن
تأكدت أن السيارة لا تزال على الطريق ،
سألته بصوت مختنق :
" لماذا يقود الإيطاليون سياراتهم بمثل هذه
السرعة وهذا التهور؟ "

" ربما للتعويض عن اضطرابهم أتخاذ جانب

الحيطة عندما يحاولون مغازلة فتاة تؤمن

بالجدية والفضيلة".

" لماذا تصر يا أدوني , على قيادة سيارتك

بمثل هذه السرعة الجنونية ؟ هل تريدني أن

أسترحمك ؟ لن أتمتع بهذه النزهة ما لم تخفف

السرعة الى درجة كبيرة".

رد عليها مازحا:

" جبانة ! بعض النساء يعجبهن كثيرا السائق

السرّيع".

" ولا أشك أبدا في أنك تتحدث عن خبرة

طويلة في هذا المجال".

" هل بقلقك أن تكوني مع رجل تتمتع صراحة

بمعاشرة الجنس الآخر؟ هل تفضلين الرجال

المتنسكين؟".

" تعجبني الصحبة الجيدة , ولكنني لا أحب

الرجال الذين لا يهمهم إلا حب الظهور".

" وهل تعتقدين أنني أفعل ذلك الآن , أيتها

الحبيبة؟".

" أظنك تحاول أثبات شيء ما , ربما لنفسك
قبل الآخرين , الرجل القوي ليس مضطرا
على الأطلاق لأطلاق مهارته وقدرته".
" هل تقولين أنني لست رجلا قويا؟".

" أنك رجل مدلل جدا , يا أدوني , أنت
شاب وسيم متأكد من محبة له ورغبتها القوية
في ألا تراه محتاجا لأي شيء , ولكنك تعرف
أنك تضيع حياتك سدى , وفي مجالات كثيرة
, لا يمكن للمرأة أبدا أن تحترم رجلا لم يحقق

أي أنجاز سوى قدرته الفائقة على التحكم
بسيارته السريعة , أو في مصاحبة فتيات
النوادي الليلية .

" أذن أنت تفضلين دون كيشوت على دون
خوان؟ "

" دائما " .

" أنت تبحثين عن فارس يحمل سيفاً! فارس
سخيف العقل يضع الشرف قبل كل شيء !
هل تأملين حقا في أيجاد شخص كهذا في
عصرنا الحالي؟ أنا , يا عزيزتي , نعيش في

عالم مادي أصبحت فيه المثل العليا عادات

قديمة بالية ."

" أنه أمر محزن حقا , لا شك في أن الحياة

كانت جميلة جدا عندما كان الرجال

مستعدين للدفاع عن الشرف والكرامة ,

أخذني أبي مرة لمشاهدة تماثيل هؤلاء الفرسان

, ولن أنسى أبدا تلك الكلمات التي حفرت

على أحداها الشجاعة هي روح

الرجل , والشرف هو السيف اللامع الذي

يحملة , أرادني أبي أن أعرف معنى التضحية ,

قال لي أنها آخذة في الزوال مع أنسان هذا
العصر , وأني عندما أجدها في شخص ما
فعليّ احترامه وتقديره".

ضحك أدوني وقال لها بمرح وأستغراب :
" أوه , يا لك من فتاة ! أنك تعتقدين حقا
بأن مثل هذه الأمور , كالفيروسية والتضحية
والشجاعة لا تزال موجودة في عالمنا , رباه !
أني متأخر جدا كي أحاول التطلع قدما الى
تحقيق مثل هذه الأحلام".

" أعرف جيدا أننا نعيش في عالم يركّز فيه
الناس كثيرا على الممتلكات المادية , وعلى
تحقيق النجاح المادي , بغض النظر عن
مشاعر الآخرين وأحاسيسهم , ألا أن أسوأ
أنواع الرجال في رأيي هو الثري الكبير الذي
يستغل الناس الى درجة السحق والأذلال ,
ويبني لنفسه هالة من العبادة الشخصية ,
كيف يمكن لأي فتاة أن تصور أن طاغية
كهذا سيحبها؟".

ضحك أدوني بسرور وقال:

" أنك تنيرين حياتي أكثر فأكثر , يا حكيمتي
الصغيرة , كنت أتصور أن سكرتيرة سيرافينا
ستكون فتاة حادة اللسان ولا تعرف شيئاً في
الحياة سوى عملها , كانت مفاجأة جميلة ,
بالنسبة الي , عندما رأيتك للمرة الأولى , ولم
أصدّق أن حظي سيكون طيباً الى هذه
الدرجة".

" ليس لحظك أي علاقة بمجيئي الى هنا , يا
أدوني , أنت تعرف جيداً أن أمك لا توافق
على قيام صداقة .. بيننا".

" أنها تعتقد أنني سأحاول أستغلالك".

سألته بهدوء , فيما كان يوقف السيارة أمام

المطعم:

" وهل هذا ما تنوي القيام به؟".

نظر اليها طويلا ثم أجابها بصراحة مذهلة:

" أنني لا أنام الليل لكثرة ما أفكر بك ,

أحلم بأن أكون معك بأن أضمك الى

صدري, لم أعرف طوال حياتي فتاة مثلك ,

ذكية وذات شخصية قوية... ومع ذلك

بريئة.....".

" أدوني! لم نعرف بعضنا إلا من فترة قصيرة
جدا , وأنت لم تكف منذ البداية عن مغازلتني
بسحرك المعهود , أوه , نعم , لديك جاذبية
ساحرة.... وأنت تعرف ذلك , لا أظن أنني
تعرفت في حياتي على رجل أكثر وسامة منك
, ولكنك تعيش في محيط مخملي , وأنا أبدو
لك مختلفة كثيرا عن النساء الأخريات اللواتي
تعرفن اليهن , ربما أحببت بعضهن بشكل
أو بآخر , لكن عندما يزول البريق
الجديد.....".

" لا أعتقد أنه سيزول ."

وضع يده على شعرها وأضاف بنعومة:

" مثل سنابل القمح الحريرية تحت أشعة

الشمس , ثمة أشياء كثيرة أريد منحها لك يا

دونا , نفسي قبل أي شيء آخر".

أحست دونا في صميمها أنها قد تتجاوب

الليلة مع وسامة أدوني , ونظرات الوله في

عينيه , والرقّة والنعومة في كلماته , ولكنها

حذرت نفسها من أنها ستواجه الكثير من

المتاعب معه , إن هي تجرأت على إظهار أي

تجاوب مع جاذبيته الساحرة العاشقة , وهي
لا تريد التورط في علاقة لن ترضي أبدا
طموحاتها الجدية الحقيقية في الحياة , قالت له
بهدوء:

" أرجوك ! أنني جائعة جدا , هل يمكننا

الدخول الآن؟".

" أنك تجلسين قربي ولكنك تحاولين الهرب
مني , أنني أطمح الى تحقيق شيء ما يا دونا ,
وهو إذابة تحفظك هذا وحملك على إيجاد
الدفء والحنان بين ذراعي , أنت وحيدة ...

كما أننا جميعا وحيدون داخل أنفسنا ,
ولكنني أعرف شيئاً هاما عنك وهو أنك لا
تجديني كريها , أليس كذلك؟".
أنه وسيم للغاية ولا يمكنها تجاهل ذلك ,
ورث الجمال والأغراء عن والدته , ولكن من
هو والده ؟ أي نوع من الرجال هو ؟ ولماذا لم
تعد تعيش سيرافينا معه؟ ما هو السبب في
ذلك؟ أرتعش جسمها فجأة لأن الجواب
تبادر الى ذهنها وأزعجها , نظرت الى أدوني
فخالجها شعور بأن قلبها أختفى من مكانه ,

تصوّرت أنّها تشاهد في وجهه ملامح شخص
آخر ريك لورديتي! ليس من المستبعد
أبدا أن يكون أدوني ابن رفيق سيرافينا!
" ما بك؟".

كانت تبدو مذهولة ومصابة بصدمة هائلة ,
أقرب منها , فأبعدته عنها بقوة وفتحت
باب السيارة , كانت رجالها ترتجفان , هذه
هي الحقيقة المرّة أدوني هو ابن ريك!
أنها متأكدة من ذلك لا بد من وجود
أمر أساسي وقوي جدا يبقى ريك لورديتي مع

أمرأة تحب نفسها أكثر من أي رجل آخر ,
ولكن أدوني لا يعرف شيئاً عن ذلك , لا بل
أنه يكره ريك.

تقدم نحوه أدوني من الناحية الأخرى
فلاحظت الشبه بين طريقة سيره وتلك التي
لريك لورديتي , أمسك بذراعها , فتذكرت
النظرة القاسية في عيني ريك عندما فعل
أدوني الشيء ذاته قبل بضعة أيام , تأملت
كأمرأة لأن الحب مفقود بين الأبْن وأبيه ,
يعرف ريك لورديتي الحقيقة طبعاً , ولكنه

على ما يبدو لم يتم بأي محاولة لضمان علاقة
طبيعية هادئة بينهما , كان يبدو أنه منح كل
عاطفته ومحبتة الى سيرافينا .. منح كل قوته
وحمائته الشجاعة لها وحدها , ولكن , أليس
ممكناً أن يكون ذلك ما يريدك ؟ ألا
يعرف أدوني الحقيقة ويمضي في اعتقاده بأنه
ثمرة زواج غير شرعي؟

دخلت دونا المطعم مع أدوني , فشعرت على
الفور بعيون الموجودين تلاحقهما حتى
الطاولة المطلة على المرفأ وبرج المراقبة البعيد

, أبتسم لها أدوني فيما كانا يجلسان , فردت
عليه بأبتسامة مرتعشة الى حد ما , كيف
ستصرف معه بعد الآن وهي ترى ريك فيه ,
أمسكت حافة الطاولة بأصابعها المرتجفة ,
فوضع يده على يدها وتمتم قائلاً:

" يعتقد هؤلاء الأشخاص أننا عاشقان , هل
لاحظت كيف نظروا الينا عندما دخلنا؟ أننا
نبدو بالتأكيد مناسبين جداً لبعضنا".
تنهدت بشيء من الأنزعاج وقالت:

" أرجوك , ألا يمكننا التحدث عن موضوع آخر ؟ لماذا لا نمضي وقتنا براحة وهدوء؟".
" أذن , لنبحث موضوع الوجبة التي سنتناولها , ما رأيك في أن نستهل العشاء بشريحة من السمك المقلي؟".

" اختر لي ما تريد , يا أدوني".

" هل تسلمين أمرك لي , أيتها العزيزة؟".

" نعم.... إذا كنت تحب ذلك".

"أحب ذلك الى درجة كبيرة , أحب كل شيء يتعلق بك , حتى التحفّظ الذي تستخدمينه

لحماية قلبك , وأعتبر رفضك أذخال أي
رجل الى قلبك حتى الآن , أثارة وتحدياً".
لم تعلق على كلامه بل نظرت اليه ببرودة
وهدوء مصطتعين , لم تشعر أبدا من قبل
بمثل هذا الأنقباض وهذا التوتر , صممت
على تغيير الموضوع , فسألته بلهجة عادية:
" هل توصف هذه المنطقة البحرية بساحل
القراصنة؟".

" نعم , كان برج المراقبة الذي يستخدم حتايا
لأرشاد سفن الصيد , بعيدا عن هذه

الصخور , يستعمل في القديم لمراقبة سفن
القراصنة , وكان المراقب يعطي إشارة خاصة
, فيهرع السكان الى أخفاء ممتلكاتهم الثمينة
..... وبناتهم".

ضحك أدوني وأضاف قائلاً:

" هناك جانب مسل للموضوع , وهو أنّ
بعض الفتيات كنّ يفضلن الأختطاف على
أيدي القراصنة , بدلا من الارتباط بأزواج
يختارهم أهلهن , حدث كثيرا أن الرجال
المسنين وحدهم كانوا قادرين على دفع

مهرس العروس , فيما الفتيات يفضلن
الأحباء الشبان الذين يتمتعون بالحيوية
والنشاط.

" ليس الأمر دائما على هذا النحو , فليس
جميع الرجال المسنين أشخاصا يفتقدون
الحيوية والنشاط , كان أي رجلا جذابا للغاية
بالنسبة الى النساء حتى عندما تجاوز
الخمسين".

" الوالد الرومنطقي الذي علّمك البحث
عن الشجاعة الحقيقية والشرف , ألا تضعين

لنفسك مستوى عاليا الى درجة الأستحالة يا
عزيزتي ؟ هناك فضائل أخرى في هذه الحياة يا
دونا "

نظرت اليه بتحد وهي تسأله ببرودة:
" مثلاً؟ "

" طبيعة دافئة ومحبة , وحس قوي لما تحبه
النساء , يحدث أحيانا أن يكون الرجل
صاحب الأخلاق والمبادئ جبل جليد لا
يفهم النساء على حقيقتهن بل يفضل الفتاة
الطاهرة المتسكة التي لا تتقدم إلا بمطالب

روحية, وأنت لا تريدین رجلا كهذا ! لا يمكن
لفتاة مثلك أن تريد رجلا كهذا!".

" أنت لا تكاد تعرفني , وأنا أعتقد أن
الأشخاص الذين يضحّون , يجعلون الحياة
بالنسبة الى الآخرين جديرة بالعيش الكريم".
" يا لنبههم ! أنا أعرف , يا فتاتي المفضّلة ,
أنك لن تفكری بالزواج قبل أن تحبي فارس
الأحلام الى درجة كبيرة , عظيم , أنه أمر
يسعد قلب الرجل ويريح باله , أما الآن ,
فسوف نتمتع بالسّمك".

يا لسحره الشيطاني ! لقد ورث ذلك طبعاً
عن ريك ! شعرت بأنها لا يمكن أبداً أن
تكون أكثر أقتناعاً بهذه النظرية وهذا
التحليل ، وتذكرت ريك لوريتي وقبلته على
يدها ووردته البيضاء وساعات
الرقص الطويلة ، أنها تعرف أن الخطر كبير في
الوقوع بحب رجل يبعد كل البعد عما تخيلته
في فارس أحلامها المثالي ورجل ربط
جذوره وأخلاصه وحياته بأمرأة
أخرى امرأة جميلة جداً لن يتخلى

عنها بسبب فتاة عادية ستعمل لديها بضعة

أسابيع قليلة.....

4- عيناہ نجمتان.....

كانت دونا تجد دائما تسجيلات مطوّلة

بصوت سيرافينا , لتسمعها وتنقلها منقّحة

الى الورق , وكان واضحا أنّها امرأة لا تنام

كثيرا أثناء الليل , ولكن قدرتها الفريدة على

تذكّر التفاصيل الدقيقة وسردها بأسلوب

قصصي شيق , ساعدت دونا الى درجة كبيرة

في تنفيذ مهمتها من غير صعوبة تذكر.

لاحظت وهي تستمع بانتباه الى التسجيلات
الصوتية المتواصلة كيف يمكن لهذه السيدة أن
تسلب عقل الرجل وأرادته , فليها صوت
حنون دافئ يداعب الأحاسيس والمشاعر ,
وحسبما ورد في أحد فصول الكتاب , فإن
بعض الرجال المشهورين حاولوا كسب
ودها..... ولم يكونوا جميعا من عالم السينما ,
كان بينهم أصحاب شركات للنقل البحري ,
وسياسيون نافذون , ومصرفيون أثرياء .

تحدثت سيرافينا عن المجوهرات التي أغرقوها
بها , وعن معاطف الفرو التي رفضتها لأنها
تمقت فكرة قتل تلك الحيوانات الجميلة
لأستخدام فروها بهدف تجاري , قالت أن
عددا قليلا من النساء ينافس الفهد في
عظمته , والنمر في جماله , والطفل في سحره
وبراءته , وأضافت أن بعض الرجال يشبهون
الى حد ما , الفهود من حيث القوة القاسية
, ولكنها لم تلتق هؤلاء في هوليوود ولكن في
بلادها إيطاليا , وذكرت سيرافينا أن الرجال

في وطنها الأم , يتمتعون بسحر وقدرة على
المجاملة وأثارة أحاسيس النساء , أكثر بكثير
من معظم أبطال الشاشة , وتحدثت بأعتزاز
عن فالتينو الذي سحر نساء العالم سنوات
عديدة.

أبتسمت دونا ثم بدت الجدية على وجهها ,
كانت سيرافينا صريحة للغاية في آرائها ,
ولكن هناك فراغا يثير الدهشة والأستغراب
في الفصول الأول للكتاب لم تذكر
شيئا عن طفولتها وسنوات المراهقة التي

أمضتها في صقلية , لم تشر من قريب أو بعيد
الى ريك لورديتي , وأحست دوناً بأنها تعرف
السبب , عندما سينتهي الكتاب , سيقراً
أدوني مذكرات أمه..... وهي مصممة على
أخفاء الحقيقة المتعلقة بولادته , لا يعرف
أحد هذا السر سوى ريك ... ودونا , التي
توصلت اليه أفترضا نتيجة التشابه بين
ملاح ريك..... ودونا , التي توصلت اليه
أفترضا نتيجة التشابه بين ملاح ريك
وأدوني , أنه سر خطير , ستجد الثروة

موضوعا دسما الى أبعد الحدود فيما لو
كشف هذا السر سيرافينا تقيم
علاقات غرامية مع حارسها الشخصي
ومرفقها الخاص.

توقفت دوننا عن الطباعة وتخيّلت نفسها بين
ذراعي لورديتي يرقصان على أنغام المقطوعة
الموسيقية الحاملة..... (عشيق الأحلام) ,
تذكرت صوته القوي فيما كانا يسيران على
الشرفة , لعب معها لعبة خطيرة جدا.....
جعلها تشعر بأنهما شخصان ألتقيا صدفة

وأعجبا ببعضهما كثيرا , ولكنهما لم يتمكنوا
من اللقاء ثانية , ضغطت بقوة على حافة
الطاولة وأرادت أن تغضب منه , لأنه قام
معها بذلك الدور العاطفي , وهو يعلم طوال
الوقت هويتها الحقيقية وأنها في طريقها للعمل
لدى رفيقته.

أقتحم في تلك الليلة دفاعاتها القوية وحذرها
الشديد , التي تواجه بها عادة كافة الغرباء
الذين يحاولون ملامفتها والتودد اليها ,
سحرها بطريقة لم تعرفها من قبل , وها هي

الآن تجد صعوبة كبيرة في إيجاد أعداء مناسبة
لتصرفه معها.

وشعرت فجأة بأنها لم تعد قادرة على سماع
صوت سيرافينا , أوقفت آلة التسجيل
وسارت بعصية نحو الباب الزجاجي الكبير ,
ومته الى ذلك الجانب من الحديقة حيث
يوجد الفارس الأسود , أحست بوجود
شخص يسند نفسه الى جذع شجرة كبيرة ,
فتعثرت خطاها , ولكنها كانت قريبة جدا
منه , بحيث أنها لم تعد قادرة على التراجع

بشكل عادي وطبيعي , قاومت مشاعر
القلق والفوضى التي أستبدت بها , وتابعت
سيرها بهدوء مصطنع نحو المقعد الحديدي
قرب التمثال .

" أفقدتك أمس أثناء العشاء " .

نطلّعت نحو ريك وقالت له :

" كنت أعمل , يا سيد , وتناولت طعامي في
المكتب , واجهنا بعض المشاكل في الفصل
الخامس للكتاب وأضطررنا لإعادة طباعته " .

" آمل ألا تكوني مرهقة في العمل ! السيدة
قادرة على نسيان مشاعر الآخرين , في كثير
من الأحيان".

" لا يهمني ذلك كثيرا , أنا نعمل على
إعداد هذا الكتاب بجد ونشاط , وكل شيء
يسير على ما يرام".
" أراك شاحبة اللون".

ألتفت نحوه للمرة الأولى منذ جلوسها على
ذلك المقعد الحديدي , فشاهدت الخاتم
الذهبي يلمع تحت شعره الأسود , سمرتها

نظراته في مكانها , فضلت صامته لحظات
طويلة سادها التوتر والعصبية , أرادت أن
تصرخ بوجهه متوسلة له بأن يدعها وشأنها ,
ما دام لا يمكن لهما أن يكونا صديقين بصورة
علنية.

" ما تحتاجين إليه الآن هو زجاجة كاملة من
شراب الورد , نحن نقول في هذه المنطقة من
العالم , أن شراب الورد ينعش قلب التمثال ,
أخبريني , هل يثير اهتمامك هذا الفارس
الحجري؟ هل يذكرك مثلا بقصة تمثال المرمر

لذي دبّت فيه الحياة في ضوء القمر وسار نحو
كوخ صغير تجلس قرب نافذته شابة جميلة؟".
تذكرت دونا أنها قرأت تلك القصة الخيالية
المرعبة وقالت:

" ألم يترك وراءه أصبعه المرمرية القاسية؟".
" هناك تأثير كبير لهذه القصص الرومنطيقية
على خيال الأنسان , أليس كذلك؟".
" يجب أن تقتصر جميع القصص الرومنطيقية
على الخيال فقط".

" عندئذ يمكن للصبية الشابة أن تحيك

قصصا خيالية حول فارس حجري وهي غير
آبهة بأخطائه أو مطالبه , ماذا يحدث لو أن
الحياة دبّت في هذا الفارس الأسود وتسلق
الجدار الى شرفتك ؟ هل ستصرخين وتوقظين
بقية المقيمين في هذه الفيلا؟".

حدّقت به طويلا وأحسّت بأن عينيه تمازحانها
, ولكنها شعرت بالتأكيد بأن صوته حمل
مغزى أعمق وأكثر جدية , هبّت واقفة
وسارت بسرعة نحو المكتب , لحق بها الى

الغرفة وجلس بتكاسل على حافة طاولتها ,
ظهر التوتر الشديد على وجهها , وبدأت
وكأنها تصرخ به قائلة:

" إياك أن تلمسني أو تضع يدك عليّ !".

أطلق ضحكته المعتادة وراح يتأمل تلك

الغرفة بهدوء مثير للأعصاب , بدا قويا جدا

وخطرا للغاية , ومع أنه لم يعد شابا في

مستهل عمره , إلا أنه بدا وكأنه سيحتفظ

بشكله الوسيم الحالي سنوات طويلة , قرأ

أفكارها ككتاب مفتوح , أذ قال لها فجأة :

" أجل , أريد أن ألمسك..... وبقوة , لم أفكر بأي شيء آخر تقريبا منذ تلك الليلة في روما".

" أرجوك ! أذهب!".

قال لها ساخرا:

" لا مبرر لهذا الهلع الذي يبدو واضحا على وجهك وفي عينيك , أنا لم أدخل غرفة نومك , أيتها الحبيبة , يمكنني هنا أن أتظاهر دائما

بأنني أعطيك ملاحظاتي حول هذه المذكرة ,

هل يوجد فيها أي شيء عني؟".

هزّت دوناً رأسها نفياً وتمنّت لو كان بإمكانها

أن تقف قربه بدون أن تشعر بمثل هذا

الأنقباض والأنزعاج بسبب نظراته والأمور

التي يتحدث عنها , كان واضحاً أن كل كلمة

يقولها تحمل معنيين , وكأنه لا يريد أن تأخذ

ما يوحي به أو يشير إليه على محمل

الجد.

حوّل نظره عن لوجة زيتية كبيرة الى وجهها

المتوتر , وسألها بهدوء مزعج:

" لو كنت تكتبين عني , فأأي نوع من الرجال

تعتبريني؟".

لم تفكر دونا إلا للحظة واحدة قبل أن تجيبه

بهدوء مماثل:

" من ذلك النوع الذي يمكنه الذهاب الى

المقصلة وهو يتسم أو يشرب فنجانا من

القهوة".

" لا يسمحون لي بذلك , لأنهم عادة يربطون
يدي الرجل وراء ظهره ويضعون غطاء على
رأسه".

أرتجف جسمها بطريقة ملحوظة , فأمسك
بسماعة الهاتف وطلب من المشرفين على
المطبخ إرسال زجاجة من شراب الورد ,
أحمرّت وجنتاها وقالت معترضة:

" لا مبرر لذلك".

" ربما لا , ولكنني أردت ذلك , كان بودي
أن أشاركك في هذا الشراب المنعش , ولكن

سيرافينا تتوقع مني الأنضمام اليها خلال فترة
وجيرة".

شعرت بوخز كلماته فأبعدت وجهها عنه
بسرعة , يجب أن تتوقع ذلك..... أن تأتي
سيرافينا في المقام الأول بالنسبة اليه , من
المحتمل جدا أنه يشعر بشيء من السرور
والترفيه عن النفس عندما يغازل قليلا
السكرتيرة الشابة , ولكنه لا ينوي بالتأكيد
التسبب بأزعاج حقيقي لسيدة القصر ,
وفجأة سأها بلهجة عادية جدا :

" هل يعجبك ساحل القراصنة؟ "

" الى حد كبير , يا سيد "

" أنت تقولين ذلك يا آنسة , ولكنك

تشاهدين هذه الغرفة أكثر بكثير من المناظر

الطبيعية الخلابه التي تحيط بنا من كل جانب

, أعتقد..... أعتقد أنه يتحتم علينا القيام

بشيء ما , هل تنامين بعد الغداء؟ "

هزّت رأسها نفيا وهي تشعر بأن قلبها قفز

من مكانه , فهي تعرف أن سيرافينا تنام

ساعتين أو أكثر بعد ظهر كل يوم..... ربما

للحمافة على جمالها ورشافتها , أو بسبب
الأرهاق الشديد الذي تواجهه في معظم
ليالها , عاد يسألها بلهجة طبيعية مذهلة:
" كيف تنظرين الى الأجماعات السرية؟ ".
" لا... لا أعتقد أن عقدها أمر حكيم ".
" الحكمة للشيوخ , ونحن لم نصل بعد الى
هذه المرحلة... مع أنني أسبقك بمرحلة
كبيرة , هل توافقين على الأشارك معي في
مؤامرة صغيرة؟ ".

شعرت دوناً ببرودة أوجه سؤاله ، ومع أنها
أجابته على الفور بكلمة نفي وحيدة ، إلا
أنها كانت تتحرق للرد عليه إيجاباً ، قال لها
ساخراً:

" لم تفكري طويلاً قبل الأجابة".

" يجب على المرء ألا يفكر مرتين بشأن

اللعب في النار ، يا سيد".

" صحيح ، ولكن هل لديك قلب دجاجة

صغيرة.. مع أنك أتيت إلى إيطاليا للعمل بين

غرباء؟".

" هذه هي القضية, أنا أنا أنوي أبدا فقدان

وظيفتي".

" سوف أتأكد من أن إجتماعاتنا ستكون

سريّة للغاية , هل تثقين بي؟".

" تعرّض الفتاة نفسها للضرر والأذى , إذا

منحت ثقتها بدون تحفّظ".

" أذن أصدرت حكمك عليّ؟".

كان ينظر إليها بعينين تضججان رغبة , أرادت

التراجع عن كلامها هذا... إنه ظالم وقاس

يشير في نفسها حينها عنيفاً أتجاهه.

" لن لن أتورط معك على هذا النحو , لماذا لا تتركني وشأني ؟ ألم تقل أنت بنفسك أن علينا التصرف كغريبين عن بعضنا".

" أتجاه..... الآخرين فقط".

" أنت شخص متعطر متعجرف ! كيف تجرؤ على الافتراض بأنني أريد مقابلتك سرا ! أنت تخص سيرافينا أنت عبدها المخلص !".

" أنا لست عبدا لأي امرأة , ولكن هناك
أمور في حياتي لا تعرفونها أمور لا
أنوي أبدا التحدث عنها , في أي حال ,
حرية الاختيار لك , بإمكاننا أن نلتقي ولا
يؤدي ذلك إلى أي مشاكل على الإطلاق ,
أما إذا لم تكن لديك الشجاعة الكافية , أو
إنك لست امرأة بما فيه الكفاية , فلن نخسر
شيئا أو نكسب آخر".

" لم لم أقم في حياتي أبدا علاقة مع
أي رجل.....".

إختنقت الكلمات في صدرها وأحسّت بألم

حاد في أحشائها , سمعته يقول:

" أعرف ذلك جيدا ! هل تعتقدين أنني ,

كرجل من صقلية , يمكنني أن أتصورك فتاة

تمنح نفسها بسهولة ليتمتع بها الرجل....

كقطعة من الليمون في يوم حار ؟ رباه ! هل

هذا هو إنطباعك عني ."

تحوّل وجهه إلى قطعة من الصخر الجامد

..... ولكنها لا تريده حجرا جامدا باردا ,

تريد أن تسرق بضع ساعات معه... تراه

يبتسم وتسمعه يتحدث..... وتظاهر
لنفسها مؤقتا بأنه لها وليس لسيرافينا ,
شعرت بأنه إنسان وحيد , على الرغم من
علاقته مع السيدة المثيرة..... السيدة التي
تسيطر تماما على الرجال الذين تملكهم
وتطالبهم بحبهم وأهتمامهم , ومع ذلك فإنها
تحرّمهم من المشاعر القلبية الحنونة والدافئة.
" ألا تطالبي , يا ريك , بإقامة علاقة
معك؟".

" لا , لا ! اللعنة ! هل تذكرين تلك الليلة

في روما ؟ هذا كل شيء أريده منك , أني

أقسم على ذلك !".

" أوه , ريك".

كان شعورها نحوه كموجة عاتية عصفت

بقلبها وأحاسيسها , أرادت أن تغرق نفسها

في رفته وحنانه , لا تزال الشعلة التي أضاءها

في تلك الليلة المذهلة تشتعل في داخلها ,

ولكنها ستتحول الى نار حارقة إذا ألتفته على

إنفراد , سيكون المنزر رهيبا ومفزعا , إذا

ضبطتهما سيرافينا معا , إنه لها , ولن تسمح
لأحد أو لشيء في الدنيا بأن يغير ذلك
الواقع.

" لا تنظري إليّ هكذا !".

طوّق خصرها بذراعيه القويتين وضمّها بعنف
إليه حتى كاد أن يحطم ضلوعها , شعرت بأنه
أذابها بين يديه..... وبأن جسمها أصبح
بدون عظام , لم تشعر بمثل هذا الخوف في
حياتها , كما أنها لم تشعر بمثل هذه
الأحاسيس الجامحة.

"ريك... أرجوك!".

"إصمتي!".

أمسكها بشعرها وجذبها إليه ثانية , ولكنها

أبعدت وجهها عنه قائلة:

"إنك ظالم وغير منصف.....".

"بحق السماء , هل يجب عليّ إخراجك مرة

أخرى؟".

حاولت مقاومته قليلا ثم أستسلمت لعناقه ,

إنه ريك الذي تريده منذ فترة طويلة !

وغرقا في بحر من الحنان , إلى أن سمعته

يهمس في أذنها:

"كنا نعرف أن هذا الأمر سيحدث عاجلا أم

آجلا , كنت أسخر منك ومن نفسي عندما

تصورت للحظة واحدة أنه كان بإمكاننا أن

نلتقي على إنفراد بدون أن يحدث بيننا أي

شيء كالآن , أنك طيبة جدا , ولكنني لست

قادرا على التصرف بنبل وشهامة عندما

يتعلق الأمر بك , أعذريني , يا دونا".

لم تحاول منعه أو صدّه عندما داعب شعرها

وقبّل أطرافه.. ثم قال لها بصوت هامس

حنون :

" أنت لست مجرد جسم بالنسبة إليّ يا دونا ,

هل تصدقين ذلك ؟ يجب أن تصدقي ذلك

يا حبيبي "

" نعم أصدقك , يا ريك "

تنهد بأرتياح ظاهر وطلب منها أن تغفر له

تصرفاته , أجابته بهدوء :

" لم يكن هناك شيء يتطلب المغفرة ,
أنا..... أنا عانقتك أيضا , أليس كذلك؟".
أبتسم وقال لها , فيما كان يتأملها بعناية
فائقة:

" لا يمكن لفتاة مثلك أن تواجه شخصا
بقوتي وبحجمي , ولكنني سعيد جدا لأنك لم
تقاوميني تماما... ولأنني لم أكن ذلك القاسي
والمتوحش".

" آه , ريك , لا تستخدم مثل هذه
الكلمات الرهيبة!".

" أنها مخيفة , أليس كذلك؟".

تأملها مجددا ثم أزاح شعرها الناعم عن عينيها

قائلا:

" الأفضل أن تسرحي شعرك ثانية , أيتها

الحبيبة".

أحمرّت وجنتاها خجلا وحياء وسارعت الى

تنفيذ اقتراحه بدون إبطاء , سمعته يضحك

بطريقته المعهودة ويقول لها:

" لا أريد التسبب في أي مشاكل لك , أيتها

الحبيبة".

شعرا معا بالذنب لأنه ليس حرا... وما أن
أنتهت دونا من تسريح شعرها , حتى فتح
الباب وظهرت المرأة التي تبدو سيطرتها على
ريك كسلاسل لا يمكن قطعها , كانت
ترتدي عباءة خضراء مخملية ويتدلى شعرها
بغنج ودلال على كتفها.
عندما تحولت عيناها الخضراوان الى ريك ,
وجدته جالسا قرب الطاولة يتفحص بعض
الأوراق المطبوعة , نظرت اليه بحدة وقالت:

" وجدتك أخيرا ! كنت أنتظرِكَ منذ أكثر من

عشر دقائق , ماذا تفعل هنا؟".

" حب الأستطلاع , هل تتصورين أنك

ستكتبين مذكراتك ولا تثيرين فيّ حب

الأستطلاع؟".

" بشأن ماذا؟".

" أمور عديدة".

هزت كتفيها ثم نظرت الى دونا بعينين

قاسيتين , بدت الفتاة هادئة وغير قلقة , مع

أن قلبها كان يخفق بعنف لا يصدّق , توترت

أعصاب دونا كثيرا عندما تخيّلت كيف
سيكون الوضع الآن لو أن سيرافينا شاهدت
ريك يعانقها.

"كنت أتصور أنك تستخدمين نظارتك أثناء
العمل , هل تخيّلت عنهما الآن لتظهري
جذابة أمام السيد لورديتي؟".
" لا , طبعاً لا".

" لا تكوني قاسية مع الأنسة هدسون لأنني
سمحت لنفسني بقراءة بعض مذكراتك".

لاحظت دوناً نظرة حادة في عينيه توحى بأنه
الآمر الناهي ، وليس العاشق المطيع أو
الحارس الذي يتناول أجراً ، بدا للحظة كأنه
سيد سيرافينا وليس شخصاً يعمل في خدمتها
وتحت أمرتها وسيطرتها ، لا شك في أنه السيد
المطاع في هذا القصر ، مع أنه يحاول أظهار
العكس ، وسمعتة دوناً يقول لسيرافينا:
" سيحظى كتابك ، أيتها العزيزة ، بنجاح
باهر".

" هل تعتقد حقا أنه سيحقق مثل هذا
النجاح ؟ أني مهتمة فقط بأعلام الناس عن
حياتي العملية يا ريك , هذه هي الطريقة
الفضلى , أليس كذلك ؟ الأضواء فقط ,
وليس الظلال تماما كما في الأفلام".
" أنه فعلا الأسلوب الأفضل , ستكون
مذكراتك , أيتها الحبيبة , رائعة مثلك".
" أيها الحبيب , إنك تجعلني أشعر دائما بأنني
جميلة وجذابة كما كنت في السابق , آه من

تلك الأيام التي تملأ قلبي بالعواطف

والأحاسيس!".

طوّقت كتفيه بذراعيها وضمته الى

صدرها..... وكأنها تقول لدونا أنه لها وحدها

, ظلا واقفين على هذا النحو الى أن سمعا

طريقة خفيفة على الباب , دخل أنريكو ومعه

زجاجة الشراب عوضا عن أبريق القهوة ,

سألته سيرافينا بأستغراب:

" ما هذه ؟ ومن طلب شراب الورد في هذا

الوقت المبكر؟".

" أنا طلبتها للآنسة هديسون , كانت تبدو
شاحبة اللون وتصورت أن الشراب البارد
ينعشها , أنها تعمل بصورة شبه متواصلة
لأنهاء كتابك , أيتها العزيزة".

نظرت سيرافينا بعصبية بالغة الى دونا وقالت
لها:

" هل كنت تتدمرين للسيد لورديتي بأني
أرهقك في العمل؟".

" طبعاً لا ! أنا لم أطلب الشراب ! أوكد لك
أنني أبديو شاحبة بسبب عدم تعرّضي
للشمس , وليس لكثرة العمل ".
" هل تحاولين الأيحاء الآن بأنني أبقىك هنا
لفترات طويلة , وأحرمك بالتالي من عرض
جسمك البريطاني النحيل ضمن قطعتين أمام
الرجال في هذه الفيلا؟ ".
" أنا لا أستخدم أبدا اقطعتين..... ".
" أوه ! هل هذا يعني عدم وجودهما على
الأطلاق؟ ".

" أبدا , أبدا ! أنني أعتبر ثياب البحر المؤلفة

من قطعتين زيا بشعا , كما أنني لست

بالتأكيد من اللواتي يعرضن أجسامهن العارية

أمام أحد ! جئت الى هنا لأعمل , ولم يخطر

ببالي أبدا أن أتصرف كضيفة , أنني أتمتع

بعملي يا سيدة نيري, وأؤكد لك أنني لا أتدمر

من أي شيء حولي ."

" أنني ممتنة لسماع هذه الكلمات , لأنني

أنوي أرهاقك بالعمل بقدر ما يحلو لي ذلك ,

فأنا أدفع لك أجرا باهظا , وأتوقع منك

نتائج جيدة".

أمسك ريك بذراع سيرافينا وجذبها نحو الباب

قائلا لها بلهجة تجمع بين الحدة والمرح:

" لماذا هذه الضجة الكبيرة حول موضوع

تافه كهذا ؟ لديك مستودع ضخمة من هذا

النوع بالذات يكفي لأرواء عطش جيش

بكامله , وتغضبين لأن زجاجة واحدة أرسلت

الى فتاة تعمل لديك بكل جد وأخلاص ! لم

أعرفك بخيلة الى هذه الدرجة !".

أبتسمت له وتمتت بكلمات لم تفهم دوناً
شيئاً منها مع أنها تصورت أن
سيرافينا أكدت له أن الغيرة وليس البخل هي
السبب الأساسي لغضبها وتوترها , ومنذ
تلك اللحظة , قررت دوناً أن تظل بعيدة عن
ريك وألا تسمح له بعناقها مرة أخرى
ما دامت تعمل في هذا القصر .

5- قطف النجوم يحتاج أجنحة

أستيقظت دوناً على أصوات زقزقة العصافير
وحفيف أوراق الشجر , فتحت عينيها بدون

أن تحرك رأسها , فتمتعت بمنظر أشعة
الشمس الذهبية التي كانت تغطي سقف
غرفتها الملون , شعرت أن الأسابيع الخمسة
التي أمضتها في الفيلا جعلتها تتعلق بهذه
الغرفة..... وأثاثها الجميل , وستائرهما التي
حيكت باليد , وبمحاذاة غرفتها , كانت
هناك قاعة صغيرة تضم مكتبة وطاولة عمل
وكنبة مريجة , وشرفة صغيرة تطل على
الأسطبل , ومع أن دونا لم تتضايق من رائحة

الخيل , ولكنها عرفت أن هذا هو السبب
لتخصيصها بهاتين الغرفتين الرائعتين.
بروز يزور الفيلا بين الحين والآخر عدد كبير
من الضيوف , وكانت دونا تشاهد بعضهم
يركب الخيل تحت شرفتها ويتوجهون الى
التلال القريبة , وعندما تذهب سيرافينا في
أي من هذه انزهات المتعددة , يكون ريك
معها , كان يرتدي دائما ثياب العمل وكأنه
متوجه الى الحقل , هل يفكر بأشجار الزيتون
القليلة التي كان يملكها والده في جزيرة

صقلية ؟ وهل يفكر بأن سيرافينا لا تنوي
أبدا أن يشاركها أحد فيه ؟ كانت دونا
تأملها بحرقه كبيرة لأنهما يبدوان مناسبين
جدا لبعضهما , وفيما كانت تراقب الزوار
ومضيفتهم بعد ظهر يوم جميل , وهي شبه
مختبئة وراء حافة الشرفة , سمعت صوتا قاسيا
يناديهما باسمها , لم يكن صوت عاشق رشاب
, بل رجل قوي يطالبها بإظهار نفسها فورا ,
ظلت قابعة في مكانها , آملة في ذهابه خلال

لحظات , ولكنه أقرب من الشرفة ونادها
مرة أخرى.

" دوناً! أنا أعرف أنك فوق , وأشعر أن
أغصان هذه الشجرة قادرة على تحمل وزني ,
هل أتسلقها وأصعد اليك؟".

" لا!".

هبت واقفة بسرعة وأسندت ذراعيها على
حافة الشرفة , فشاهدته يجلس بكبرياء
واضح على حصانه الجميل ويوجه اليها
إبتسامة مرحة , قال لها بهدوء:

" أني متأكد من أن رد فعل جوليت لم يكن
خجولا الى هذه الدرجة , عندما أراد روميو
الصعود الى شرفتها".

" ربما لم تفكر جوليت بأن الشاب النحيل
سيقع قبل وصوله الى الشرفة ويدق عنقه".
" آوه ! هل تمك سلامتي الى هذه الدرجة ,
أيتها الحبيبة؟".

" لا تستخدم هذه الكلمة معي ! احتفظ
بكلمات الحب والغزل للسيدة نيري , التي

لن يسرها أبد أن تضبطك وأنت تتحدث الي
بهذا الشكل".

" الحقيقة أنني أريد الاعتذار لك عن الطريقة
التي حدثت بها هذا الصباح , أرجو أن
تفهمي.....".

" غني أفهم جيدا , يا سيد , أحس بأنك
توليني بعض الرعاية والأهتمام , ولم يعجبها
ذلك أطلاقا , كان الأمر طبيعيا للغاية
أنك بالتأكيد تعجبها , وهي تعتمد عليك ,
ولا أريد أن أكون سبب أي احتكاك بينكما

, أفضل أن أترك وشأني خاصة بالنسبة
اليك".

" بالنسبة الي , لكن ليس بالنسبة لأدوني ؟
أنك تتوددين اليه كثيرا في الآونة الأخيرة ,
أليس كذلك؟ عزف وغناء بينكما تلك
الأمسية في الحديقة , وأنت تعزفين جيدا !
ماذا بشأن هذه الأمسية ؟ ماذا خطتما
لها؟".

" سيأخذني الى حفلة راقصة تقام على يخت
أحد أصدقائه ".

حاولت دوناً أن تتحدث بطريقة عادية جداً ،
ولكنها لم تتمكن من إخفاء التوتر والأرتعاش
في صوتها ، فعندما فكرت بموضوع الرقص ،
تذكرت تلك الليلة العجيبة في روما وكيف
أنها أمضت تلك الساعات الطوال بين
ذراعي ريك ، حاولت..... حاولت يائسة أن
تفكر بأدوني على أنه ريك ، ولكنها لم تنجح
، شعرت بأنها تريد مراقبة ريك على ذلك
ايخت ، وأن تلتصق به وتحتمي بقوته ، تألمت
كثيراً ، خاصة أن أوجاع الحب أشد وطأة

بكثير من الأوجاع الجسدية , نظرت اليه
وهو يفتح فمه ليحدثها , فلاحظت أن
ملامح وجهه تحولت الى ما يشبه الفولاذ ,
قال لها :

" أرجو أن تتوخي الحذر معه , يا دونا ,
أدوني شاب متمرس جدا في هذه المجالات ,
وهو يعرف كيف يستغل جاذبيته وسحره , لا
أريد لك أي أذية عندما تذهبن الى ذلك
اليخت , الكثير من أصدقائه لا يحظون
بموافقتي التامة".

أرغمت نفسها على الضحك , وقالت :
" يا لهذه اللهجة المتغترسة ! أني أعتبرك
أشد خطرا من ... من أدوني".

قطب ريك حاجبيه وشعت عيناه ببريق
خاطف غامض , قفز قلبها من مكانه وتمنت
أن تكون فاتته زلة لسانها , علّق على كلامها
بحدة , قائلا:

" أنا أعرف أدوني طوال حياته , أما معرفتك
أنت به فتقتصر على أسابيع قليلة , أنه
أنفعالي ولا يتصرف إلا حسب رأيه , رأيته

كيف ينظر اليك شاهدت الرغبة في
عينيه !".

كانت دوننا على استعداد لتصدّق أن أدويني
يشكّل بعض الخطر , وتعرف عن وراث
أرادته الذاتية , وراثها , كبعض ملامح وجهه
وجسمه , عن أبيه... ريك , تظاهرت
بأهدوء واللامبالاة , وقالت:

" لا يوجد سبب لأن تقلق نفسك بشأني يا
سيد , أعرف تماما كيف أعني بنفسني ,
وأعتقد أن أدويني تعلّم احترام مشاعري".

كانت تخفي سرورها لأنها أحست بأن ريك
يغار من أدوني , وسمعتة يسألها بحدة:
" وما هي مشاعرك هذه يا دونا ؟ لا تسايري
هذا الشاب , ما لم تكوني عازمة على تلبية
... توقعاته".

" ماذا..... ماذا تعني بذلك "
" أعتقد أن المعنى واضح تماما , أنت ليست
طفلة , وكذلك أدوني , وأتصور أنك سوف
تتصرفين بحكمة إذا بقيت بعيدة عن هذه
الحفلة.....".

أغضبتها كلماته وطريقة تصرفه معها وكأن له

الحق في ذلك , فقالت /

" إياك أن تحدثني بهذه اللهجة الآمرة ! أنت

لا تستخدمني ولا تملكني , وسوف أذهب في

أوقاع فراغي حيثما أريد وبرفقة من أريد ,

إحتفظ بموافقتك الأستبدادية هذه ل.....

لسيرافينا".

" أنا أعرف تماما أنه لا حقوق لدي بالنسبة

اليك , ولكنني لا أريدك أن.....

تتضرري".

" أتصور يا سيد لورديتي , أن إحتمال
حصول ذلك سيكون أكبر بكثير فيما لو
جازفت بمشاهدتك وراء ظهر سيرافينا ,
أعتقد أن هذا الأمر هو مجرد لعبة مارستها
مرات عديدة , وأظن أنك مستاء جدا لأنني
رفضت التورط فيها , يمكنني على الأقل ,
أن ألتقي أدويني وأخرج معه بصورة علنية
وبدون خوف أو وجل , كنت أتصور أن أمه

سوف تعترض , وربما أنها لم تفعل

ذلك.....".

" لم ترفض سيرافينا أي طلب لأدوني أو تحرمه

من أي شيء يريد , إذا كان أدوني يريد

اللهو مع الأنسة البريطانية , فليكن , هذا

هو موقفها , وهذا هو السبب في عدم

اعتراضها , هناك عدد كبير في حياة أدوني

..... وهو لا يعتبرهن أكثر من مجرد

دمى".

" وما هن بالنسبة اليك ؟ هل تحسد أدوني

على حريره في التمتع بحياته علنا؟".

" الحرية كلمة كبيرة , أليس كذلك ؟ لديك

الحرية الكاملة يا دونا , ولكن أرجوك أن

تستخدميها بهدوء وتعقل كيلا تندمي , يمكن

لشابة مثلك أن تقدم على خطوة تندم عليها

طوال حياتها".

" وهل لي أن أتصور يا ريك , أنني لم أكن

سأندم على قبولي اللقاءات السرية المقترحة

معك ؟ ما هو سبب قلقك يا ريك ؟ هل

أنت خائف من أنني سأواجه مشكلة مع

أدوني ، مثلما واجهت سيرافينا ذلك

مع..... مع أبيه؟".

" رباه ، ماذا تقولين؟".

كان صوته عنيفا..... وحزينا في آن واحد

، شعرت بأنها طعنته في الصميم ، خيم

صمت مطبق بينهما ، وحده الحصان كان

يحرك رأسه بتململ لأنه يريد الذهاب الى

الأسطبل ليأكل ، نظر اليها ريك فجأة

وسألها:

"كيف عرفت ذلك؟ من غير الممكن إطلاقاً
أن يكون أحد أخبرك بهذا الأمر , أنك
تفترضين ذلك..... تتخيلين

تتصورين!".

كانت دوننا متألّمة لدرجة أن شفّتها أصبحتا
جافتين كقطعة من الخشب , نظرت إليه
بأسى وكأنها ندمت على كلامها , ولكن
إحساسها دفعها الى متابعة الحديث , قالت:
" أنه يشبهك كثيرا , ألا تعلم ذلك ؟ ألم
تشاهد نفسك فيه أبداً؟".

أخرسته الصدمة مرة أخرى لبعض الوقت ,

ثم قال بلهجة قاسية:

" حاولت على الأرجح أن أتجنب ذلك , إذا

كنت عاقلة , إبتعدي عنه , أتفقنا أنت وأنا

قبل قليل أن لا سيطرة لي على حياتك ,

وأنت حرة في مد جناحك كيفما يحلو لك ,

ولكن أرجوك يا دونا , أن تعني بهما جيدا ,

لا يمكن للفتاة أن تحلّق عاليا نحو النجوم ,

عندما يتكسر جناحها الصغيران الرائعان".

أدار وجه الحصان نحو الأسطبل وأختفى عن
ناظرها , قبل أن تتمكن من فتح فمها لتقول
له أنها..... أنها تشعر بأن ظلام الليل
الذي حل قبل قليل زحف الى قلبها
ومشاعرها , أنسجت الى قاعتها الصغيرة
وأضاءت المصابيح القليلة فيها , كانت متأثرة
جدا لأن ريك لا يشعر بأي عاطفة أتجاه
أدوني , ولا يرى فيه إلا أخطاء شبابه هو ,
بدا وكأنه لم يرغب أبدا في التعرف الى الطفل
أو الأهتمام بتربيته ذلك الطفل الذي

تركته سيرافينا مع زوج كهل مطيع , أين هو
هذا الزوج الآن ؟ وهل كان هناك زوج فعلا ,
أم أن سيرافينا اخترعت وجوده لتضفي على
تاريخها بعض الأحرار ؟ لا بد أن سيرافينا لم
تتزوج أحدا على الإطلاق ! لا شك في أنها
دفعت مبالغ طائلة لأحد الأشخاص كي
يعتني بأدوني , الى أن أصبح على استعداد
لأعادته اليها , الرجل الوحيد في حياة
سرافينا هو ريك لورديتي !

كان هكذا دائما..... ومنذ البداية ,

ويناسبهما تماما التظاهر أمام العالم أنه ليس
إلا حارسها الخاص , هكذا أرادت سيرافينا
أن تعيش , وكأن حياتها ليست سوى رواية
مثيرة.

تنهدت دوناً بارتعاش ربما كان من
الأفضل لها أن تتصرف وفقا لأقتراح ريك ,
وأن تلغي موعدها مع أدويني , فهي لم تكن
راغبة أصلا في مرافقته الى هذه الحفلة , لأنها
تعرف أن معظم أصدقائه ليسوا من طينتها ,

معظمهم أثرياء لا يهتمهم سوى أنفاق المال
والتمتع بالأمور التافهة.

ذهبت الى غرفة نومها وأستلقت على سريرها
, يمكنها دائما أن تتظاهر بوجود صداد قوي
أو أن معدتها تؤلمها , إلا أن ذلك سيبدو
رضوخا لرغبات ريك لرجل لا يحق له
أن يحاول توجيه حياتها بشكل أو بآخر , إذا
كان أدوني مدللا ومعتادا على حياة المجنون
والفوضى , فأن نصف اللوم يقع على كاهل
ريك , لم يحاول أبدا ثني سيرافينا عن الرضوخ

لمشيئة إبنها ورغباته , وتغطية كافة نفقاته
وديونه , إنها تحب إبنها كثيرا وترى في وجهه
الوسيم أنعكاسا لجمالها المميز .

ودقت ساعة الحائط , أنها الساعة تماما ! لم
يبق لديها إلا نصف ساعة فقط كي تستحم
وترتدي ثيابها , إذا كانت ستذهب معه ,
أرتبكت وترددت لأنها تعرف ماذا
سيحدث لأدوني في تلك الحفلة إذا ذهب
بمفرده , سينتهي به الأمر الى خسارة أموال
طائلة وتمضية بقية الليل بصحبة امرأة تخون

زوجها معه , لم تكن لديها أي أوهام بالنسبة
الى أدويني , ولكنها تعلم أنه تحسن كثيرا منذ
أن بدأت تخرج معه , أنه يعجبها , بالرغم من
عدم قدرتها على التظاهر بأنه ريك , اللعنة
على ريك ! لماذا يتدخل في كل شيء ... في
أفكارها , ومشاعرها , وحتى في قلبها !
أرادت أن تتحداه وتذهب مع أدويني الى
حفلة اليخت .

خرجت من الحمام بسرعة وتوجهت الى
غرفتها عبر الممر الصغير , شهقت بصوت

مرتفع عندما وجدت نفسها ترتطم برجل
طويل القامة , تعثرت قدماها , فأمسكها
بيدين قويتين بدتا وكأنهما ترفعاها عن الأرض
, وقفت مذهولة بين ذراعيه , فيما كان يتأمل
وجهها وملاحظها بعناية بالغة , كان قلبها يخفق
بقوة وكأنه يريد الأفلات من جسمها
والألتحاق بجسم الرجل الذي يعذبه ويؤلمه ,
قال لها بصوت خافت:
" هل تعرفين ماذا أحب أن أفعل لك؟".

لم تكن بحاجة للرد عليه , لأنها قرأت الجواب
في عينيه الجميلتين القاسيتين , شاهدت تلك
الشعلة الخفيفة في نظراته , عندما سمعته يجيب
نفسه قائلاً:

" أحب أن أحبسك في برج وأتولى حمايتك ,
كيلا يتمكن أحد من إلحاق الأذى بك ,
دخلت نصيحتي في أذن وخرجت من
الأخرى , أليس كذلك؟ أنت ذاهبة الآن الى
هذه الحفلة وتبدين نشيطة وبريئة كطفل
صغير أخرج لتوه من حمام ساخن".

" لماذا تعارض حفلة اليخت بمثل هذا

الأصرار؟".

كان لا بد لها من أن توجه اليه هذا السؤال ,

لأنها لم تكن المرة الأولى التي يشاهدها فيها

وهي خارجة في سهرة مع أدوني , أجابها

بهدوء:

" يملك هذا اليخت رجل لا أحبه كثيرا , فقد

أدوني معه أطوالا طائلة , وأنا أعرف أن

الرجل يفض كثيرا في لعبه , أدوني خبيث مع

النساء , ويجب اللهو والعبث الى درجة كبيرة

, ولكن لديه بعض الفضائل ومنها أنه يكره
الغشاشين , كما أكرههم أنا , لم يكتشف
بعد بنفسه أن صاحب اليخت يغش في
اللعب , وسوف تحدث مشاكل كبيرة عندما
يفضح أمره".

" أذن , فذهابي معه عامل مشجع , أنه
يتصرف بشكل طبيعي عندما أكون معه".
أمسك برأسها وأحناه الى الورااء كي ينظر الى
عينها بهيمنة وتسلط , وسألها:

" وكيف يتصرف عندما تكونان على

أنفراد؟".

" أفضل منك".

كان عليها أن تدافع عن نفسها , وبدا أن

أفضل وسيلة لذلك تكمن في مواجهته ,

عقد حاجبيه , ثم هاجم مشاعرها فجأة وراح

يعبث بعواطفها بعنف , شعرت بأن رجليها لم

تعودا قادرتين على حملها , أبعدها عنه بعد

لحظات وجيزة ثم قال لها بحدة , بعدما أستعاد

أنفاسه:

" تمتعي بسهرتك , الأرجح أنك ستكونين

معه أكثر أمانا مما لو كنت معي! ".

ركضت دوناً الى غرفتها وأقفلت الباب من

الداخل وهي تلهث خوفاً.... سمعت عن هذا

النوع من الأحاسيس الغامضة , التي كثيراً ما

تكون قوية جداً بين شخصين لا يحق لهما أن

يشعرا بها , كان ريك يريدتها رأت

ذلك في عينيه القويتين , أرادت من صميم

قلبها أن يكون شعور ريك على هذا الشكل

..... وكانت تعرف أن هذه العواطف قد

تؤدي الى كارثة.

أنتهت من ارتداء ثيابها , ولكنها لم تسيطر
بعد تماما على أعصابها أو عواطفها , لم تقدر
على تناسي ما شعرت به عندما عانقها
أو تناسي رد فعله القاسي الى حد ما , لأنها
أضطرت لصدده أو تناسي الكلمات
القاسية التي وجهتها له , لأنها لم تجرؤ أن
تكون ناعمة ورقيقة معه , كيف يمكنها أن

تكون رقيقة معه , بدون أن تحصل

مضاعفات لن تتمكن من مواجهتها؟

نزلت دونا من غرفتها وهي تأمل في أن يكون

أدوني قبل أمه وتمت لها ليلة سعيدة , لأنها لم

تكن راغبة في دخول قاعة الجلوس

ومواجهة ريك , وما أن وصلت الى أسفل

السلم , حتى سمعت أدوني يصرخ من الداخل

بصوت غاضب مرتفع:

" من أنت لتسمح لنفسك بالتدخل في

الشؤون المالية ؟ أنت تقبض أجرك لتكون

الرجل الذي يهابه الجميع , والشخص الذي
يتبع سيرافينا كظلها ويعيش حياة البذخ والثرا
على حسابها ! ولكن أريدك أن تتذكر دائما
, يا لورديتي , أنك لست إلا مجرد أجير في
هذا البيت ولن أسمح لك بتاتا بالتدخل في
شؤوني .

" لا حاجة , يا بني , لأن تغضب الى هذه
الدرجة , ريك محق تماما فيما يقول... أنت
تخسر أموالا باهظة منذ فترة طويلة , وأنا لا
أحصد النقود من الحقل... كما تعلم , إذا

كانت هناك حفلة راقصة , فلماذا تريد المزيد
من المال ؟ أعطيتك مبلغا كبيرا جدا قبل
بضعة أيام قليلة".

سمعتة دوننا يجيب أمه بصوت ناعم , قائلا:
" أنني مدين بمبلغ معين أريد تسديده , لا
أتصورك تريدان أن تصبح سمعتي في الحضيض
, هيا , بإمكانك أن تعطيني مبلغا آخر ."

" لا تعطيه المزيد من المال , يا سيرافينا , إذا
كان يريد المقامرة مع مثل هؤلاء الفاسدين ,

فما عليه إلا أن يعمل ويستخدم دخله لهذا

الغرض".

" قلت لك , يا أمي أنني مضطر لتسديد ديون مترتبة علي , وكما أفهمتكَ سابقا , يا لورديتي , إياك أن تتصرف معي وكأنك السيد هنا , أنت لست أكثر من قاتل مأجور , وتخيّل أن بإمكانك إدخال الفرع والهلع إلى قلوب الجميع , لا , إنك لا ترعيني أنا , أعرف مهارتك في القتال , وأعرف كغيري أنك قتلت ذلك الرجل مستخدما قبضتك

الحديدية..... وليس كما قيل أنه توفي نتيجة
لأرتطام رأسه بحجر , أعلم أنك قادر على
دق عنقي وتحطيم ضلوعي , ولكن هذا لا
يعني أنني سأركع أمامك بمجرد النظر الى
وجهك.....".

" أصمت , إياك أن تتحدث مع ريك بهذه
الطريقة , أريدك أن تفهم جيدا , يا أدوني
أنني لن أتحمل حتى منك مثل هذه الأهانات
أو ذكر أحداث جرت في الماضي , تجلله ,
يا ريك".

" هذا ما أفعله عادة , أني أفهم منك , يا
أدوني , أنك ستأخذ الآنسة هدرسون الى
اليخت (دليلة) , فهل أفهم أيضا أن
البعض سيقامرون؟".

" ربما , ولكنني أحتاج الآن الى بعض المال
للوفاء بديوني , لا تنظر الي هكذا , يا
لورديتي ! سأهتم بدونا كثيرا , إذا كان هذا
هو الذي يقلقك , لاحظتك مرة أو مرتين
كيف تنظر اليها , فتاة جميلة , أليس كذلك؟
شعر أشقر ناعم.....".

"أخرس ! إذا كنت قلقا بالنسبة الى الأنسة
هدسون , فلأنني أعرف الأشخاص الذين
تصاحبهم وتصادقهم , وأشك كثيرا في أنها
معتادة على معاشرة الطفيليين الذين يعيشون
عالة على غيرهم أو النساء التافهات اللواتي
يخنّ أزواجهن كما تفعل قطط الأزقة , من
الواضح أنها فتاة طيبة ومن عائلة محترمة ,
وأنني أنذرك بأن أي محاولة من جانبك
لأفسادها أو تشويه سمعتها , سوف.....".

قررت دوناً الدخول في تلك اللحظة وأبعاد
أدوني عن ريك ، قبل أن تحصل بينهما مجابهة
لا محمد عقبها ، تصنعت الهدوء والأبتسام
وكأنها لم تسمع شيئاً من تلك المجادلات
العنيفة والقاسية ، وقالت لأدوني بمجرد
خولها:

" أوه ، أنت هنا ! أن لم نذهب الآن ،
فسوف تنتهي الحفلة قبل وصولنا ".
أقرب منها شامخ الرأس ثم أنحنى وقبلها على
خدها قائلاً بأعتراز :

" أنك رائعة".

أمسك بذراعها وخرج وأياها من الغرفة ,
محميا والدته برأسه ومتجاهلا ريك بصورة
متعمدة وقاسية , وقال لدونا , وهو يفتح لها
باب السيارة:

" أنني أكره ذلك الرجل اللعين , أتمنى لو كان
بالأمكان أقناع سيرافينا بالتخلي عنه , ولكنه
يسيطر عليها بدرجة تبدو وكأنها تعتبره قوة
الدفع الأساسية في حياتها.

قالت له دونا بهدوء , وبعد أن أختارت

كلماتها بدقة وعناية:

" يجب عدم التدخل بينهما , من الواضح أن

والدتك تحتاجه الى حد كبير , كما أنه لا

يمكنك القول بأنه يتدخل حقيقة في شؤونك

أو حياتك".

" أنه يتدخل ويصب الزيت على النار ,

ساعة يشاء , صدقيني , يا دونا , اللعنة عليه

! ليذهب الى الجحيم !".

أطلق لسيارته العنان بشكل أفزع دونا
وجعلها تتمسك بقوة بحافة مقعدها , نظرت
اليه بسرعة , فلاحظت أنه في زاج عصبي
بالغ يكاد يبلغ حد الانفجار , بدا متهورا
ومستعدا للمجازفة بكل شيء.. حتى بحياته ,
وتمنت لو أنها أخذت بنصيحة ريك وبقيت

في الفيلا.

" أدوني..... "

حوّل السيارة الى جانب الطريق وهو يضغط
بقوة على الفرامل لأيقافها في أقصر وقت
ومسافة ممكنين , وسألها بحدة:
" ما بك؟".

" أنني أنني أشعر بصداع خفيف , هل
تسمح بأن نعود ؟ لا أتصور أنني سأتمتع
بالحفلة عندما يكون رأسي يؤلمني".
" أعددت نفسك لهذه الحفلة وأرتديت لها
ثيابا رائعة , ولم أشاهدك قبلا بمثل هذا
الجمال وهذه الأناقة".

ضغط على دواسة السرعة وهو يضيف

قائلا:

" سوف تجعلين النساء الآخرين يبدین ,
وكأنهن مجموعة من الخفافيش وصلت لتوها
من الكهوف والمغاور , يغرقن أجسامهن
بمعاطف الفرو والعقود والخواتم الثمينة ,
ولكن ليس هن مثل بشرتك الرائعة وشعرك
الجميل , هل تعرفين أن ريك يغار مني
ويحسدني ؟ يحسدني حتى الموت لأنك
لي.....".

أحست بتوتر شديد وعصبية بالغة لأن أدوني

ضرب على وتر حساس للغاية , قاطعته

بسرعة قائلة:

" أنا لست لأحد , يا أدوني , خروجي معك

بين الحين والآخر في نزهة أو الى سهرة أو

للغداء , لا يعني إطلاقا اعتباري أحدى

ممتلكاتك , أرجوك عد بي فورا الى الفيلا ,

لا أشعر أبدا بأي رغبة لحضور حفلة".

" كنت رائعة جدا في ذلك عندما أقترحتها

عليك , قلت بنفسك أننا سنمضي وقتا ممتعا

للغاية في الرقص على متن يخت جميل , ما
هي المشكلة يا دونا ؟ هل سمعت بعض المجادلة
مع ريك , وتخافين من أنني أفسدك ؟ يا
للأفكار المسلية والمضححة ! هو الذي يمكنه
القيام بذلك ! هو الذي يعرف أكثر مني
بكثير عن عصابات المقامرین , والأشرار
الذين يجوبون في الأزقة المقفرة والمظلمة , أنه
شخص من صقلية أقسم على الانتقام ,
وأَمْضَى سنوات طويلة يبحث عن الرجل
والقتلة وأصبح مقامرا من الدرجة الأولى ,

أنني أحسده على الطريقة التي يوزع فيها
الورق , أنهم يذكرون اسمه همسا في مقاهي
الأرصفة والموانئ ... الرجل ذو الخاتم
الذهبي .

" لمن كان هذا الخاتم؟ أنه خاتم زواج , أليس
كذلك؟ "

" نعم , أخذه من أصبع أمه قبل أن يوارى
جثمانها الثرى , طلب من سيدة عجوز في
قريته أن تثقب أذنه , كما تفعل مع الفتيات
وتضع فيها حلقة صغيرة يتدلى منها الخاتم ,

أنه الأنتقام..... والعنف , وهذا هو سبب
أعجاب سيرافينا به , لعبت أدوارا كثيرة مماثلة
في حياتها السينمائية , مما جعلها تنظر الى
ريك على أنه بطلها الأسمر الكبير , هذا
يناسبه كثيرا لأنها لا تزال امرأة رائعة الجمال
..... وثرية الى درجة كبيرة".

لم تتمكن دوننا إلا أن تحتج بالقول:
" أعتقد أن أمورا أهم من ذلك بكثير تربط
بينهما".

" ماذا , على سبيل المثال؟".

" ما من شخص يراها معا , إلا ويشعر
بالأخلاص المتبادل وبتكريس حياة كل منهما
للآخر".

" هل يعني ذلك كعاشقين ؟ هذا هو الأمر
الذي بم أتمكن أبدا من تحمله , حاولت المرة
تلو الأخرى أن أدخل عليهما فجأة , آملا
في أن أراها بين ذراعيه , كي أهدم البيت
على رأسيهما , ولكنه ثعلب خبيث , ولديه
على ما يبدو حاسة سادسة تساعده دائما
على النجاة من الخطر , أنه كالنمر اللعين ,

يظل متأهبا دائما وأبدا... يشم رائحة الخطر
وينجو بجلده قبل وصول الصيادين!".
حاول أيقاف سيارته بعنف على رصيف
الميناء , فأرتطم رأسه بمقودها , لم تتعرض
دونا لحادث مماثل لأنها كانت ربطت نفسها
بحزام الأمان , سمعت أنه الخافت وشاهدت
في اللحظة التالية الدماء تسيل من فمه ,
فكت حزامها بسرعة وأسندت رأسه على
المقعد لتعرف ماذا حدث , تتم بأنه متألم
جدا , ثم أخرج منديله بصعوبة من جيبه

ووضعه على فمه , لاحظت دونا الجرح
الهميق في شفته السفلى , وأحست بأن بعض
أسنانه تهتز وكأنها على وشك الوقوع من
مكانها.

" يجب أن آخذك حالا الى المستشفى !".
رد عليها عبر المنديل المصبوغ بالدم الأحمر ,
قائلا:

" لا بل الى طبيب أسنان , لا أريد أن أخسر
أيا من أسناني... سوف أموت لو حدث لي

ذلك ! أنت ستقودين السيارة , وسأرشدك
أنا الى بيته".

شعرت دونا , وهما في طريقهما الى طبيب
الأسنان , بأقتناع ثابت بأن أدوني هو حقا
أبن ريك ويشبهه في أمور عدة , لم يتدمر أو
تصدر عنه أي أصوات تكشف عن آلامه
الحادة , بل ظل محتفظا بسيطرته وبقدرته
على أرشادها الى منزل الطبيب بدون تردد
أو أرتباك , تنهدت بأرتياح عندما أوقفت

السيارة أمام المنزل , وتمنت أن يتمكن
الطبيب من أنقاذ أسنان أدوني الجميلة.
أمضت الساعتين التاليتين تشرب القهوة مع
زوجة الطبيب , وتنتظر بلهفة دخول أدوني
الى غرفة العيادة , صحيح أنه تعرض لهذا
الحادث نتيجة تصرفه الأرعن وقيادته المتهوره
, ولكنها حزنّت لحاله.... وأعجبت
بشجاعته , ظل جالسا بهدوء مذهل بانتظار
دوره , مع أنه متألم الى درجة كبيرة , لم يطلب

منها شيئاً سوى عدم الأتصال بأمه لأنها

ستقلق عليه.

خفت حدة توترها كثيرا عندما خرج الطبيب

وأبلغها بأن المصاب مرتاح لبضع دقائق ،

وأنها ستتمكن من مشاهدته بعد قليل ،

وأضاف الطبيب مؤكداً:

" سوف يتعافى السيد نيري قريباً ، لديه

أسنان ممتازة ، وكان مستعداً لتحمل أي ألم

للمحافظة عليها ، ربما سيظل أثر الجرح

ظاهراً في شفثيه ، ولكن بشكل طفيف جداً

, أنه شاب وسيم للغاية , ولكنه أعطى

الأولوية القصوى لأسنانه الجميلة".

" هل يمكنني أعادته الى البيت؟".

" سأقترح عليه البقاء هنا هذه الليلة , لأنه

ليس مرتاحا كثيرا وقد فقد كمية كبيرة من

الدم , صورت فكه بالأشعة , ومع أنه يبدو

سليما , إلا أنني أفضل أبقائه هنا بقية الليل

تحت رعايتي وعنايتي , لدينا هنا غرفة إضافية

يمكنك أستخدامها".

لما لا ! هزت رأسها علامة الموافقة , فطلب
الطبيب من زوجته أن تعد الغرفة والسري ,
ثم ألفت الى دونا وقال لها:
" والآن يمكنك زيارة المريض ."

أوصلها الطبيب الى القاعة الصغيرة التي كان
أدوني مستلقيا فيها , ثم تركهما وحدهما , مد
يده اليها وشكرها بعينه , أمسكت يده
وقالت له أنها ستختار الكلمات بعناية عندما
ستخبر والدته عن الحادث , ثم أضافت
بهدوء ونعومة:

" ربما عليك من الآن فصاعدا أن تأخذ
بنصيحتها وألا تقود سيارتك بسرعة فائقة".
شدّ على أصابعها وجذب يدها باسمها الى خده
, علمت أنه يتوسل بعض العطف , مع أنه
عرّض حياتهما معا للخطر , وسألته عما إذا
كان لا يزال متألما , أم أنه يشعر ببعض
التحسن , هز رأسه مؤكدا ذلك , فقالت له:
" يجب أن تنام قليلا الآن , أتوقع أن تحضر
أملك في الصباح لأعادتك الى البيت , أعلم

أنك تفضل حضوري , ولكنها والدتك ولها
الأولوية في ذلك".

أمسك يدها بقوة وكأنه يريد الاحتفاظ بها في
تلك الغرفة , ولكنها سحبت يدها وقالت
له:

" يجب أن أذهب , سأراك غدا أن شاء الله ,
الى اللقاء".

أرادت أن تتصل بالفيللا , بإمكانها أن
تتحدث مع ريك وتطلب منه أن يشرح
لسيرافينا ما حدث مع أدوني ... ولكن لا

..... فمجرد ذكر كلمة حادث عبر الهاتف
سيثير هلعا في قلب سيرافينا , ويجعلها تصر
على الحضور فورا , أدوني بحاجة ماسة لراحة
تامة بدون أزعاج من أحد , وسيشعر بتحسن
كبير في الصباح ... وبقدرة أكبر على
مواجهة تأنيب والدته وقلقها , قررت
الذهاب بنفسها , مع أن قلبها كان يرتجف
نتيجة خوفها من تلك الطرقات الجبلية
المعرجة , شكرت الطبيب وزوجته على كل
ما قاما به أتجاههما , ثم قادت السيارة الرائعة

الى الفيلا وهي تركز كل أهتمامها على
الطريق.

ما أن قطعت نصف المسافة , حتى توقفت
السيارة بعد أن توقف محركها , حاولت
جاهدة أن تدير المحرك , ولكن جميع محاولاتها
باءت بالفشل , اللعنة ! ماذا ستفعل ؟ لا
تريد قطع بقية المسافة سيرا على الأقدام , لا
تقدر على ذلك , لأنها لا تعرف الطريق ولأن
الظلام حالك وشامل , أوصدت البابين من

الداخل ورفعت النافذيتين , وقررت البقاء في
السيارة.

أسندت رأسها الى الوراء وتمنت مرة أخرى لو
أنها أخذت بنصيحة ريك , كانت الأمسية
بكاملها كارثة كبيرة , عوضا عن أن تكون
آمنة في غرفة نومها المريحة والجميلة , تجد
نفسها في هذا الوضع الحرج الذي لا يحسدها
عليه أحد , وتمنت فجأة لو أن ريك موجود
معها ليجعل ليلتها أكثر بهجة وأقل
توترا..... ريك الذي تحداها بأسلوب لم

يسبق له مثل , والذي أغازها أحيانا وكأنها
فتاة صغيرة ثم عاملها كأمرأة ناضجة يريد لها
..... الى حد كبير , تذكرت كلامه عن

النجوم التي قد تصل اليها الفتاة على

جناحين صغيرين براقين , كان يعني الفتاة

العاشقة..... الفتاة التي لا تمنح حبها

بسهولة , والتي تحتفظ بقلبها وجسمها للرجل

الوحيد في حياتها.

ولكن..... لا يمكن أن يكون ذلك الرجل

ريك لورديتي , لا بد لها أن تصدق كلام

أدوني عنه من أنه أمضى سنوات
طويلة في حياته يعيش في الجانب المظلم
للشوارع والأزقة , ربط الرجل حياته ومصيره
, بأمرأة تشبهه الى درجة كبيرة وتفهمه بصورة
مماثلة , وعندما ينتهي عملها في الفيلا ,
سيقولان لها معاً كلمة الوداع ويقفلان الباب
وراءها.

ريك أوه , ريك
تنهدت , وغرقت في نوم عميق.....

6- وجهه الآخر !

أستيقظت دوناً عندما سمعت طريقة على نافذة السيارة ، فتحت عينيها وقفزت من مكانها بخوف وهلع ، كان جسمها يرتجف من البرد ، وعنقها يؤلمها بسبب الطريقة الملتوية التي نامت فيها .

" لا بأس ، يا دوناً ، لا تخافي ، أنا ريك ." فتحت باب السيارة بعد أن تأكد لها أنه فعلاً ريك ، وقالت له :

" ريك ! أوه ، ريك ! أفرعتني كثيراً ! " .
" يبدو أنك واجهت مشكلة مع السيارة " .

لاحظت أن ضوء المصباح بدأ يجل تدريجيا

محل ظلام الليل , فسألته:

"كم الساعة الآن , وماذا تفعل هنا؟".

"أنها تمام الخامسة , وأريد أن أعرف ماذا

تفعلين في هذه السيارة المعطلة , هل أفهم

من وجودك هنا أن أدوني لا يزال على

اليخت , وأنت هربت منه؟".

أستوت دونا في جلستها وراحت تفرك عنقها

بيديها , ثم قالت:

" لا , أخبرني عن سبب وجودك هنا .
" لم تتمكن سيرافينا من النوم وأرادت أن
تشرب فنجانا من القهوة , أعددت لها
القهوة , ثم دفعتني حشريتي لمعرفة ما إذا كان
أدوني أعادك الى البيت أم لا , سمحت
لنفسي بفتح باب غرفتك , وعندما وجدت
السرير خاليا , ظننت أنك لا تزالين معه في
اليخت فأتيت لأعادتك الى الفيلا , والآن ,
فسري لي سبب وجودك هنا بمفردك , هل
حدث شيء "

لم تجبه دوناً على الفور ، بل راحت تحلل
المعنى الكافي في حديثه عن أرق سيرافينا
ورغبتها في شرب القهوة ، توحى كلماته
بالتأكيد بوجود علاقة حميمة بينهما ،
حاولت دوناً دائماً تجنب مواجهتها أو حتى
التفكير بها ، تعني كلماته أنه كان معها طوال
الليل ، عصر الألم قلبها ، ولكنها سيطرت
على أعصابها كثيراً كيلا تحاول الأفلت من
يده الممسكة بمعصمها ، قال لها بأنقباض:

" يبدو أن شيئاً ما حدث بينكما , أخبريني

!" .

أطلعته على كافة التفاصيل , ولكن صوتها
كاد يخنق عندما أخبرته بأن أدويني منعها من
الاتصال بأمه هاتفياً مخافة أن تقلق وتغضب ,
أرادت دوناً أن تصرخ بوجهه قائلة :
(كانت معك ! كنت تطوقها بذراعيك !) .
وسمعت ريك يقول بأستغراب واضح :

" كيف يقود بتلك السرعة الجنونية ومعه
شخص آخر؟ كنت معرضة للخطر! هل
أنت بخير... تماما؟".

شعرت دوناً بلمسة يديه، فأنتفضت هذه
المرّة كمن لدغتها حية وقالت بحدة:

" أنني... أنني بخير، كنت أضع حزام
الأمان، ولو فعل أدويني مثلي لكان الآن بخير
هو الآخر، كان يقود السيارة بمثل تلك
السرعة بسبب مجادلته معك!".

" أذن سمعت ما جرى بينا ! إنه يستغل كرم
سيرافينا معه , أنت تساعدينها في كتابة
مذكراتها , وأصبحت تعرفين بالتأكيد كم
كذّت وأجتهدت لجمع أموالها , هل تعتقدين
أنه يحق لشاب بعمره أن ينفق مال أمه على
هذا النحو ولا يحاول إيجاد عمل لنفسه ؟ لم
يتدمر أذن بسبب ذلك الألم الخفيف ! وهل
يثبت ذلك أنه رجل ؟ لم أحب ولن أحب فيه
أبدا هذه العادة القبيحة , وهي استغلال
النساء ! أنهن طرائد بالنسبة اليه !".

أرتجفت دوناً وتأثرت كثيراً لأن ريك يتحدث
بهذا الشكل عن أدوني ، الذي هو من لحمه
ودمه والذي يشبهه في مجالات متعددة ،

قالت له بغضب:

" سيرافينا هي التي ستكون بحاجة للتعاطف
معها عندما تسمع أن الشاب الأرعن جرح
وجهه الجميل المحبوب".

ثم أبتسم بسخرية وأضاف قائلاً:

" بإمكانه الدخول ساعة يشاء الى عالم
السينما الإيطالية ، مستخدماً ذلك الوجه

الوسيم والقدرة على التمثيل اللذين ورثهما
عن أمه , ولكنه كسول وبليد .. وطفيلي ,
يفضل مطاردة النساء أوه , لا داعي
لأن أخبرك عن هذه المسألة فأنت تعرفين
ذلك , وأرجو ألا يتأثر رأسك كثيرا بهذه
الحادثة الصغيرة والجرح الطفيف الذي أصابه
, يجب أن تدركي ذلك , يا دونا , لأنني لا
أريدك أن تحوّلي حياتك العاطفية الى دمار
ومأساة".

" كيف يمكنك أن تتحدث بهذا الشكل

عن.....؟".

خنقت الكلمة الأخيرة في حلقها , ثم مضت

الى القول:

" أنه ابن سيرافينا , وكلنا نعرف مدى تعلقك

بها".

" نعم , أنني متعلق بها الى درجة كبيرة ,

ولكن الحب يجب ألا يعمي عيوننا عن أخطاء

من نحب , في أي حال , فتاة مثلك جديدة

بحب رجل حقيقي".

أخرج رأسه من نافذة السيارة ورفع نظره الى
السماء التي بدت حمراء صافية , لم تتمكن
دونا في تلك اللحظة من أبعاد نظرها عن
ذلك الوجه القوي , قالت لنفسها أنه وجه
حنون لملاك أسود لم يجد بعد جنته الحقيقية ,
كيف ستشعر لو أنها تمكنت من الحلول محل
سيرافينا ؟ كيف ستشعر أو تتصرف لو كان
ريك لورديتي رفيقها وحارسها لو
كان حبها وسوطها , وسمعته يتمتم:

" ها أن يوما جديدا بدأ يشق طريقه

الآن..... طاهرا عفيفا مثلك , يا دونا".

أحمرت وجنتاها بسرعة وتساءلت عما إذا

كان يتمنى أن يكون هذا الرجل الذي

سيطلعها على خفايا الحب وأسراره , وعاد

الى الحديث معها , قائلا:

" هل تلاحظين , يا دونا , كم نحن على

أنفراد ؟ أنا هنا في قلب منطقة جبلية , لا

يشهد على أنفرادنا أخيرا ببعضنا سوى

الطيور وبعض الثعالب.

خفق قلبها , أنه يخص سيرافينا , ولو كانت
لديها ذرة عقل لطلبت منه أعادتها فوراً الى
الفيلا , نظرت الى سيارته ووصلت
الكلمات الى شفيتها , ولكن الرغبة في أطالة
أمد اللقاء المنفرد كانت أقوى من العقل
والمنطق , أستدار نحوها وكأنه فهم رغبتها ,
ثم مد يده نحوها وقال:
" تعالي , رجلاك بحاجة لقليل من الرياضة ,
لنقم بنزهة قصيرة ."

لم تجادله دوناً ، بل نزلت من السيارة
وأنضمت إليه ، سارا يدا بيد بين الأعشاب
والأزهار البرية الجميلة ، ينتشقان عطرها
الفواح الذي يزيد من روعته نسيم الصباح
اعليل ، كان الصمت مخيماً عليهما ، ولكن
دونا كانت تعلم أنهما يدركان معا وجود ذلك
التيار من الرغبة ينطلق من أصابعه مباشرة الى
عروقها ، كان ينظر اليها بين الحين والآخر
وعلى شفثيه أبتسامة خفيفة ، توحى بأفكار
معينة يجب ألا تسأله عنها ، حاولت أن

تبادلته البسمة الحلوة , ولكن مسحة من
الحزن كانت تغطي وجهها , أنها تشعر أكثر
منه بذنب الوجود معه في مثل هذا اللقاء
السري , ولكن شعلة صغيرة كانت تلتهب في
جسمها كلما نظر إليها , قطع ريك حبل
الصمت , عندما أوقفها وقال لها :

" هذه هي الطريقة الفضلى لشخصين يسيران
معا , لا يتحدثان كثيرا ولكنهما يستوعبان
المتعة التي يشعر بها كل منهما بسبب وجوده

مع الآخر , أنت تريد ذلك بقدر ما أريده
أنا , هذا شعوري الآن .

فرحت لأن ريك يريد الأفراد بها , ولكن
علاقته مع سيرافينا كادت تقض مضجعها
وتذكها بتعاستها , لم يتردد في الإفصاح عن
مدى حاجة سيرافينا إليه , وكان واضحا لكل
من يراقبهما معا أن أخلاصه لها قوي لا
يتزعزع , إلا أن له جانبا آخر في شخصيته لا
يكشف عنه إلا عندما يكون معها هي..

الفتاة البريطانية البسيطة !

ذابت قساوته قليلا وجعلها تدرك أنه قادر
على أن يكون رقيقا وحنونا , بدا لها وكأنه
يجد معها بعض شبابه , الذي فقدته أثناء بحثه
الطويل عن قاتل أمه , بدا وكأنه يريد الأبتعاد
بين الحين والآخر عن أجواء سيرافينا المثيرة
وعظمتها , وجمالها , وأساليبها.....ز التي
أصبح يعرفها جيدا.

وفجأة , بدت الأشجار التي يسيران بينها
أقل كثافة وعددا وظهر لدونا أغرب
بيت صغير شاهده في حياتها , بيت غريب

جدا وجميل في الوقت ذاته تغطي
جدرانه بصورة تامة نباتات وأعشاب وأزهار
مختلفة , قال لها ريك:

" لا يمكنك أن تجدي مثل هذا البيت بأعداد
كبيرة في هذه المنطقة من إيطاليا , بنيتها على
هذا الشكل ليكون نسخة طبق الأصل عن
البيوت التي أحبها , إنه منزلي..... المخبأ
السري الأمين".

تأملت دونا بأعجاب بالغ البيت المبني من
الحجارة المستديرة والمؤلف من طابقين ,

أعجبها القرميد الأحمر الذي يغطي سطحه ,
كما أعجبتها نوافذه الضيقة , وبابه الخشبي
الذي تعلوه قنطرة جميلة , أبتسم لها ريك
وسألها بهدوء:

" هل تحبين ألقاء نظرة عليه من الداخل؟ ".
هل أدرك أنها ترغب في الدخول معه والبقاء
هناك طوال العمر ؟ أمسكت يده بعصبية ,
فقال لها مطمئنا:

" لن أقدم على أي مغامرة عاطفية مجنونة ,
ولن أحاول أي شيء معك , كل ما أفكر به
الآن هو إعداد الفطور لشخصين جائعين".
أبتسمت بارتياح ولكنها لم تتمكن من منع
الدماء من الوصول الى وجنتيها .
" هل هذا هو بيتك حقا؟ وهل تأتي اليه
كثيرا؟".

" ليس بالقدر الذي أريد".

ملاحظة هامة جدا ! هل تعني أنه لا يرحب
دائما بمطالب سيرافينا ؟ فتح الباب بمفتاح

صغير أخرجته من جيبه , أعجبته حمالة
المفاتيح التي كانت تتدلى منها قلادة خشبية
جميلة حفرت عليها صورة جمل , لاحظ ريك
نظرات الإعجاب في عينيها فأخبرها أن
أحدى عجائز صقلية , التي أتت أصلا من
منطقة صحراوية , أعطته تلك القلادة منذ
زمن بعيد.

"كنت صغيرا جدا آنذاك , وقالت لي أنها
تعطيني أياها كي أتعلم من الجمل الصبر
وطول الأناة , لا أدري لماذا أحتفظت بها

طوال هذه المدة ! هل تريد أن أعطيك

أياها ؟".

" لا , أبدا ! قد تصاب بسوء طالع لو
تخلت عنها ! كنت أتأمل جمالها , لا أكثر ."

" ألا تشعرين برغبة للحصول على ما

يعجبك , يا دوننا؟".

" ليس عندما أعلم أن ما يعجبني يخص

شخصا آخر".

حدّق بها وكأنه يقول لها أنه فهم ما تعنيه

بالضبط ؟ دفع الباب الى الداخل ومد

ذراعيه داعيا أياها الى الدخول قبله , حاولت
دونا أن تبدو طبيعية وهي تدخل البيت الذي
وصفه ريك بأنه مخبأ سري , وتساءلت عما
إذا كان أحضر قبلا نساء أخريات الى هذا
.... المخبأ , خافت من أن يتمكن من

أكتشاف ما يجول بخاطرها فركزت أهتمامها
على تأمل القاعة الرئيسية وجدرائها البيضاء
السميكة , كانت هناك طاولة وعدد قليل من
الكراسي , وسجادة ملونة تغطي أرض الغرفة
الحجرية وسلم لولبي يؤدي الى الغرفة العليا ,

التي صورتها دوناً مشابهة لهذه..... بأستثناء

وجود سرير فيها، شاهدته يخلع معطفه، ثم

سمعتة يسألها بهدوء :

" بماذا تفكرين؟".

" لا أعرف تماماً بماذا أفكر، يختلف هذا

المكان كثيراً عن الفيلا، أنه بسيط للغاية

..... ولم أتصورك أبداً رجلاً يحب البساطة".

فتح خزانة صغيرة وأخرج منها علبة من

المعكرونة مع بعض مستلزماتها الضرورية، ثم

قال:

" كل أنسان هو مخلوق مزدوج التفكير
والرغبات , أحب كثيرا الدخول صباح كل
يوم الى حمام عصري أنيق , ولكنني في الوقت
ذاته أتمتع بأعداد طبق من امعكرونة لنفسي
..... وفي بعض الأحيان لضيوفي ."

تظاهرت بأنها تقرأ عناوين الكتب الموجودة
على أحد الرفوف , وسألته بلهجة طبيعية:
" هل تدعو الناس غالبا الى هذا المخبأ
السري؟"

ردّ عليها بنبرة عادية مماثلة وهو يملأ القدر

بالماء قبل أن يضعها على النار:

" تعنين النساء , أليس كذلك ؟ لا , يا دونا

, أنا لا أستخدم هذا المكان لأقامة علاقات

غرامية..... إذا كان هذا ما تفكرين به "

" أنا لم أكن..... "

قاطعها وهو يشعل النار , قائلاً:

" بلى , هذا ما كنت تفكرين به , إنه رد فعل

طبيعي وعادي , فلماذا يريد رجلي مثلي أن

يبنى منزلاً كهذا مخفياً بين الأشجار.....

وليس لديه أي جيران سوى العصافير ؟ هل

تصدقين أنني أرغب أحياناً في الأفراد

بنفسي؟".

ضغطت أصابعها على الكتاب الجميل الذي

أخذته بين يديها ، ثم سألته :

" هل بنيت هذا البيت بنفسك ؟ هل أنت

الذي وضعت القرميد على سطحه ، وحفرت

هذه الطيور الرائعة على خشب النوافذ ؟ هل

فعلت ذلك ، يا ريك؟".

وضع المعكرونة في الماء المغلي وسألها بهدوء:

" هل سيعجبك أكثر لو عرفت الجواب ؟
هل كنت تتصورين أنني لا أعرف شيئاً سوى
المقامرة والقتال ؟ تربيت في صقلية , يا
عزيزتي , حيث يدرّبون الصبي ليصبح رجلاً
في سن مبكرة , علّمني والدي النجارة وابناء
, وعلّمتني أمي على كيفية استخدام الأزميل
..... وقتلها رجال المافيا بالأزميل الذي
كانت تعمل به".

" أوه ! رباہ!".

شعرت دوناً بحزن عميق وأحست بأن الدماء
ستدْفُق خارج وجهها.

" يقال أن طفولتنا هي التي تحدد مستقبلنا في
الحياة.... وطفولتي حدّدت حياتي في ساعة
سوداء واحدة , أخذ قلبي ينمو بسرعة كبيرة
تخطّت بكثير سرعة نموي الجسدي , كنت لا
أزال صبياً ولكن فترة العب وُلّت ومضت ,
قتلوا أمي , ولكن.....".

توقف فجأة عن متابعة كلامه , وسأل ضيفته
المذهولة :

" كيف تقضّين المعكرونة ؟ هل أكثر الملح
أم أقلله؟".

كانت تنظر اليه وهي راغبة في الأستماع الى
مزيد من التفاصيل عن حياته , هذه هي
فرصها الآن , لأنه نادرا ما يتحدث عن
نفسه , قالت له بتلعثم:

" أنا أفعل ما تراه مناسبا".

" لا شك في أن أدوني أخبرك بعض الأمور
عني , أعرف ذلك من الطريقة التي تنظرين
فيها اليّ أحيانا".

" وكيف أنظر اليك؟".

" كفتاة خائفة الى حد ما , وكأمرأة يحزنها

تحطم قلب صبي".

" أوه , يا عزيزي.....".

توقفت فجأة وكأنها قالت أكثر مما يلزم.....

مع أنها شعرت بأن كلامها لم يكن كافيا , هزّ

كتفيه وبدأ يعد المائدة الصغيرة المتواضعة ,

فيما كانت دوناً تراقبه بسرور بالغ لأنه

يعتبرها شخصا يجد فيه التعاطف والأهتمام

المخلصين , شعرت بصورة أكيدة أنه لا

يحدث سيرافينا عن ماضيه إلا نادرا , وإنه لا يأتي بها الى هذا المخبأ لتشاركه الطعام الذي كان يتمتع به في مطبخ أمه.

أستلقت دونا على الكنبه الصغيره فيما كان ريك يعد القهوة ويراقب المعكرونة , كانت تحمل كتاب العصافير في يديها , إلا أن عينيها كانتا تتأملان الرجل القوي , أحست بأنه يمضي معها وقتا ممتعا..... مع أنهما سوف يتظاهران فور عودتهما الى فيللا سيرافينا بأن شيئا كهذا لم يحدث إطلاقا ,

الخلل الوحيد في احتمال قيام علاقة طيبة
معه , هو سيطرة سيرا فينا عليه.
تمنّت لو أن هذه الساعة لا تنتهي أبدا
ولو أن بإمكانها تمضية مثل هذا الوقت معه
كل يوم تمنّت لو يحل الظلام ويطوقها
بذراعيه القويتين ويحبها , كما تحبه , أنها
تعترف بحبها له ! نعم أنها تحبه
وتحبه كثيرا !

وفيما كان قلبها يغازله بصمت , أحضر
الطعام الى المائدة ودعاها الى الأكل ,

أضحكته طريقته في أكل المعكرونة ,
وعلمها الطريقة الإيطالية الجيدة , ثم أبتسم

وقال :

" هل يعجبك الطعام ؟ شكرا , فكّرت كثيرا
في أستخدام مواهي هذه لفتح مطعم جيد ."

" لما لا يا ريك , بأمكنني أنا أن أكون

النادلة" .

ضحك حتى كاد يقع من كرسيه , وقال :

" أعتقد أنك تعين كلامك , أيتها الصغيرة ,

ولكنني ككثير من رجال صقلية الحقيقيين , لا

أسمح لنفسى بتعريض جسمك الساحت الى

قرصات الزبائن الأيطالين".

أحمر وجهها حياء , وخاصة عندما رآته

يتفحصها بعينه القويتين الجذابتين , فسألته

بعد لحظات :

" أنك تحب صقلية كثيرا أليس كذلك ؟ هل

تزرورها بين الحين والآخر ؟".

" سوف ألقى حتفى , لو فعلت ذلك مرة".

نظرت اليه بذهول , فهز رأسه وأضاف قائلا

بتأثر :

" أعدّوا قبوري وحفروا أسمي على بلاط

الضريح , لديّ أعداء يا عزيزتي , يحدث هذا

الأمر عندما يعارض أحد عصابة الشر والقتل

, وأنا فعلت ذلك... وفي أكثر من مناسبة".

فتحت عينيها القلقتين وسألته بلهفة:

" هل هنالك من خطر على حياتك

هنا؟".

" لنقل إن الخطر هنا أقل وأخف".

ثم صبّ القهوة مرة ثانية , وأضاف قائلاً:

" لا تخافي , يا دونا , فهم لن يقتحموا هذا
المكان برشاشاتهم وبنادقهم , أنهم يكرهوني
ولكنهم يحترموني في الوقت ذاته , كذلك
فأن هذه الأيام لم تعد كالسابق , عندما كانوا
يقتلون الناس دونما أي خوف أو وجل من
سيف العدالة , إلا أن صقلية نفسها لا تزال
متمردة وغير مدجّنة بعض الشيء , وهذا هو
أحد أسباب تعلقي بها , كنت أنوي أكثر من
مرة المجازفة برؤية موطني وبيتي مرة أخرى
ولكن لدي مسؤوليات "

أنه يعني سيرافينا , فهي لن تدعه يذهب الى
صقلية حيث ينتظره الموت في وضح النهار
أو ظلمة الليل , أنه الصخرة التي بنت عليها
سيرافينا حياتها..... وهو كل شيء بالنسبة
اليها , أرادت دونا أن تفكر بمواضيع أخرى
, فهبت واقفة وقالت:

" سأغسل الصحون والفناجين , تمتع بقليل
من التبغ المحترق أعرف أنك تتحرق
للتدخين".

" وماذا , لو قلت لك , يا دونا , أنني أتحرق

للحصول عليك؟".

خيم الصمت بضع لحظات لم تجرؤ خلالها

على النظر اليه , أرغمت نفسها على

التحدث بهدوء , مع أن قلبها كان بعيدا كل

البعد عن الهدوء والسكينة , سألته:

" هل أستخدم الصابون العادي أم هناك

سائل معين تفضّله؟".

" بإمكان الصحون أن تنتظر".

سمعت تحرك كرسية فأستدارت بسرعة
لمواجهته , لأنها خافت من أن يقدم على
شيء بصورة مفاجئة , أقترب منها وهو يمشي
بخيلاء كالنمر القوي وينظر اليها بعينين
فولاذيتين , قال لها بصوت حزين تقريبا ,
تحوّل تدريجيا الى صوت جاف وجش:
" أعرف أعرف أنني وعدتك بعدم
لمسك , ولكنني مضطر لذلك الآن , سوف
أظهار , ولو لهذه المرة فقط , بأنك لي ,

أريدك قريبة مني ! أريد ما لا يمكنني الحصول عليه بعد هذه اللحظة بالذات !".

شاهدت تلك الشعلة العجيبة في عينيه ,
وذراعاها تمتدان لتطويقها وضمّها اليه , ثم
وضع يده حول عنقها , وكأنه غصن شجرة
يريد اقتلاعه من مكانه فيما لو حاولت
تحدي رغباته وأرادته , لم تفكر إطلاقا , لأن
قلبها كاد يطير فرحا كعصفور أزرق ,
أمسكت برأسه وجذبتة نحوها برقة وتمهل.

أحست من طريقة عناقه لها أنها ليست
مداعبات رجل يتمتع بوقته لفترة قصيرة فقط
, شعرت بأنه يحبها ويريدها , فأزداد قربها منه
بشكل لم تعرفه أبدا في حياتها , كان يضمها
اليه بقوة وكأنه يريد جعلها جزء لا يتجزأ من
نفسه , داعب شعرها وشد يديه القويتين
على كتفها حتى شعرت بأنها تحلق على غيمة
ناعمة وردية اللون بعيدة عن
الأرض بعدها عن السماء , قال لها بصوت
خافت:

" هكذا يجب أن يشعر المرأة أتجاه بعضهما ,
وكأنهما ليسا بحاجة الى أي شيء إلا لمكان
يكونان فيه وحيدين لا يزعجهما أحد , أريد
أن أعرف الآن , هل عانقت في حياتك أحدا
آخر بهذا الشكل ."

هزت رأسها نفيا وهي تشعر أنها في قمة
سعادتها , داعب شعرها الناعم قائلا:
" لن أغير شعرة واحدة في رأسك , لن أغيرك
أنت بأي طريقة أو بأخرى , أتمنى أن تبقي
دائما هكذا , يا فتاتي البريطانية الجميلة

.....شابة , طاهرة , عاطفية , أتصور

أنني أريد أن أضعك في برج عاجي بعيد عن
جميع رجال الدنيا لأنني لن أتمكن من
الحصول عليك ."

أمسك وجهها بين يديه برفق ومحبة , وأضاف

قائلا:

" لكل منا أحلامه , لكن أحلامي مقيدة لا
يمكنها أن تتحرر بسهولة , أنت تفهمين ما
أعنيه , أليس كذلك ؟ أنت فتاة إما أن

يأخذها الرجل طوال حياته , أو لا يأخذها
على الإطلاق".

أبتسم قليلا ثم عانقها بسرعة وقال :
" نعم , ستكونين كريمة معي لأجل ذلك
الصبي الصغير الذي تى الى بيته مرة في
صقلية ليجده عابقا برائحة الموت والألم ".
" أوه . ريك !".

تحرك فمها ثانية فعاد يضمّها بحنان حفاظا
على شرفها وطهارتها , وهي ذائبة بين ذراعيه
, لم يكن هناك غد , ولا امرأة تدعى سيرافينا

لتمد يديها الأنيتين اللتين تسيطران على
ريك بشكل لا تأمل معه أية امرأة أخرى في
الوصول اليه , وفجأة أبعدا ريك عنه
ثم توجه فورا الى إحدى النوافذ , وبعد
لحظات صمت طويلة , قال لها بدون أن
ينظر اليها :

" يلتقي أحيانا أشخاص يناسبون بعضهم ,
ولكن في وقت غير مناسب , عندما ألتقينا
تلك الليلة في روما , كنا غريبين عن بعضنا ,
ولكننا شعرنا بأن كلا منا يعرف الآخر ,

وأعتقد أنني لو أقترحت عليك أثناء ساعات
الرقص الطويلة التي تلت ذلك اللقاء بأن نفر
معا , لكنك وافقت على ذلك من دون
توجيه سؤال واحد , صحيح ؟".

ظهرت ابتسامة جميلة على شفيتها المرتعشتين
, وقالت له :

" ربما كنت سألتك عما إذا كان بإمكانني
أحضار حقيقتي من الفندق "

قال لها بصوت حزين :

" أنه لأمر بسيط جدا أن نحاول الإمساك
بقوس قزح ونضع بين خطوطه الذهبية
البراقة الناعمة , أما الماضي..... فألى
الجحيم , لأنه يحق لكل أنسان بحلم من نوع
ما , ولكن الأمور لا تتم عادة بمثل هذه
السهولة حتى أن نفسي أغرتني تلك
الليلة بأن أحذرک من المجيء الى فيلا
سيرافينا , تعلق كل منا بالآخر في تلك الليلة
الفريدة , ألا أنه كان من واجبي إبلاغك بأنني
لست حر التصرف أو قادرا على التخلص

من مسؤولياتي , لم أكن حرا آنذاك , يا دونا
 , ولست حرا الآن ولن أكون أبدا".
 " أنني أفهم وضعك , يا ريك".
 أستدار نحوها بسرعة قائلا:
 " حقا ؟ أخبريني ماذا تفهمين".

" أفهم أن الأخلص يعني بالنسبة اليك أكثر
 من الحب".

" يزول الحب , يا صغيرتي , عندما تدعو

الحاجة الى ذلك..... عندما يخف بريق

البهجة وطعم الأثارة!" .

مدّت يدها نحوه , وكأنها تناشده , وقالت:

" لا , لا.....".

" بلى , يا عزيزتي , وخاصة عندما لا يمكن

الأكتفاء منه بالطريقة التي تريدها له الطبيعة

, ليس الحب مجرد علاقات رومنطيقية

وكلمات عذبة شاعرية , أنه جوع وألم لا

يمكن مداواته , لا يبقى في النهاية سوى

المرارة والحرقة , دماء الشباب والحيوية تسري
في عروقك , أيتها الحبيبة , أمامك مجال كبير
للحُب في حياتك الطويلة , يا عزيزتي دوننا".
" أنك تقسو علي كثيرا".

" كي أصل بك الى شاطئ الأمان".

أحست دوننا بألم حاد يعصر قلبها عندما بدا
لها أنها غير قادرة على مناقشة جملته الأخيرة
, أو أن تكون سعيدة معه وحرّة في الذهاب
معه حيثما يريدان , تألمت كثيرا لأنها لن
تتمكن من التجول معه في معاهد الفنون

الجميلة أو المتاحف وهي أمور تحب
القيام بها مع ريك بعد أن تعرفت الآن الى
الوجه الآخر في حياته وشخصيته , الوجه
الذي لا يظهره أبداً إلا لمن لا يعتبره أكثر من
مجرد حارس شخصي ومرافق خاص لسيرافينا
نيري , نظر اليها بوجه كأنه قدّ من صخر ,

وقال:

" أعرف ماذا يجول في خاطرك الآن , يا
دونا".

كان قويا في وجهه ونظراته , أحست بأنها
تريد تحطيم ذلك الجدار الذي يمنعها من
الوصول الى أعماق قلبه , كانت تصبو بحرقه
لتصبح جزءا منه .

" وهل يمكنك أن تقرأ جميع أفكاري بهذه
السهولة؟" .

وجّهت اليه هذا السؤال بصمت لم تتمكن
من أخفاء ألمه , شعرت بعذاب موجه لأنها
فهمت لتوها أن الحب يحمل معه نوعا من
الألم والحساسية.

" أشعر في هذه اللحظة أن تيار أفكارك هو
كسلك معدني تدب فيه قوة من الكهرباء
فيما أنا ممسك به , أنت تريدني مني الآن أن
أطلعك بصراحة على سبب أرتباطي بسيرافينا
الى هذه الدرجة , تشعرين بأن لك الحق في
ذلك , وتسألين نفسك عمّا إذا كانت ثروتها
الطائلة هي السبب , لا يا عزيزتي , فالمال
ليس السبب , يكفي أن أقول لك أنني
أقدّمها عليك هذه المرأة التي لا
يتصوّرها الآخرون إلا عاشقة مهووسة كما

ظهرت في أفلامها , أنا أعرف حقيقتها ,
وأعرف أنّ بإمكانني تحطيم قلبها , ولكنني لن
أفعل ذلك , يا دونا , لن أدعك تشاركين في
عملية تحطيم قلب امرأة أخرى , لن اعمل
على أفساد الطيبة اللذيذة التي أجدها فيك
, أو الأحساس الرقيق المرهف الذي أراه في
عقلك وجسمك , أعرف أنك تتألمين عندما
أتحدث اليك على هذا النحو , ولكن
تصوري الألم الذي ستشعر به امرأة تجاوزت
الأربعين امرأة تبدو في الظاهر أن لديها

كل شيء , مع أنها في الحقيقة ضحية مخاوف
لا يمكنك تصور أبعادها.

صمت لحظة وهو واقف أمام النافذة ووجهه
يرتدي قناعا من الظلال , بسبب الضوء
القوي الذي يأتي من الخارج , هز رأسه ومضى
الى القول:

" أعرف أن بإمكانك تصور ما سيحدث لهذه
الأمراة , إذا تركتها من أجل أيجاد القليل من
شبابي الضائع مع شابة مثلك , أعتقد أنك
تعرفين ماذا سيحدث لنا فيما لو عشنا معا

ونحن نعرف ماذا حدث لها , لا ... لا أتصور
نفسي قادرا أبدا على ذبح مشاعرها.
أحزنتها الكلمة التي أستخدمها الكلمة
الرهيبة التي تصوّر سيرافينا الجميلة الشاحخة
وهي تتخبط بدمائها وتبكي على أطلال
قلبها المحطّم , وقالت دوننا لنفسها أن ريك
ليس الأنسان الذي يمكنه أن يقوم بمثل هذه
الأعمال البربرية , خنقت دموعها في عينيها
وذهبت بسرعة لغسل الصحنون , سمعت
قدّاحته مرة أخرى وشمّت رائحة الدخان , أنه

يدخن كثيرا أنه متوتر الأعصاب الى
درجة مذهلة , وشعرت دونا فجأة بأنها
ليست قادرة على تحمّل خسارته بصورة تامة
, فأستدارت نحوه وقالت بعصبية:
" لماذا سأظل خجولة الى هذه الدرجة ؟
أعرف أنه لن يكون لنا أي مستقبل إطلاقا ,
ولكن هذا لا يعني أنه ليس بإمكاننا أن
أن أسمع , يا ريك ! لسنا مضطرين
لأيذاء أحد , أريد أن أعرف كيف سيكون

عليه شعوري عندما أكون معك ... حقا

معك".

" تبا لهذه الكلمات ! هل تعتقدين أن هذا كل ما أريده منك ؟ لو كان الأمر هكذا , لحملتك الى تلك الغرفة منذ أكثر من ساعة , أنا أنسان , يا دونا , ورجل يضج بالنار , يسرني كثيرا أن أضم امرأة بين ذراعي.....
وأن.....".

شدّ شعره الأسود بعنف ثم صرخ قائلاً:

" رباہ ! لا تطلبني مني أن أعاملك هكذا !
أنني قادر لكن كل نقطة دم عاقلة في عروقي
تمنعي بحزم وقوة , أريد الحب معك يا حياتي
, أن يكون لذيذا وطيبا وطاهرا".
" ولكن الطيبة والطهارة , يا ريك , ستؤديان
الى الشعور بوحدة قاتلة ! ألم تكن تعني ما
قلت عندما حدثتني عن الفارس الأسود
الذي سيتسلل الى غرفة نومي عبر الشرفة؟
إذا حدث ذلك , يا ريك فهل تعتقد أنني
سأصرخ وأوقظ الباقيين".

"كنت أمازحك وأضايقتك عندما قلت

ذلك".

"حقا , يا ريك ؟ وهل تتظاهر الآن بأنك

تتنفس بصعوبة , أم أنها كثرة التدخين؟".

"أحذرك يا دونا , من مغبة الأستمرار في

هذا الأسلوب , فأنا لست من

حجر.....".

"أعرف ذلك وأعرف أن مظهرك

وسيم للغاية , وأعرف أيضا أنني كلما أقتربت

منك أشعر بأني غير قادرة على الوقوف

.... أشعر بأني أذوب وأنهار".

" أيتها الشيطانة الصغيرة ! لا يمكنك أن

تفعل ذلك , لا تحاولي أتباع هذا الأسلوب

أبدا !".

حمل معطفه ورماه على كتفه ثم سار نحو الباب

, فتحه ثم أستدار نحوها وتأملها بضع

لحظات , شعرت خلالها بأنها تذوب أمامه

وتكاد تهوي على الأرض , قال لها:

" الى اللقاء , أيتها العزيزة , لا تظني أبدا
أنني لا أحب أن أكون ذلك الشخص الذي
سيمنحك كنوز الظلام وثروات الليل
الدفينة".

دفعتها حشريتها القوية , بعد الأنتهاء من
توضيب القاعة الصغيرة , الى الصعود الى
غرفة النوم , شاهدت على طاولة خشبية
صغيرة قرب السرير قنديلا صغيرا
وصورة امرأة ضمن إطار من الذهب الخالص
, رفعت الصورة بيدين مرتجفتين وتأملتها

بدقة وعناية , أنها صورة أمه..... وهذا هو
السبب الحقيقي على الأرجح لرفضه أحضار
أي امرأة الى هذه الغرفة , أعادت الصورة الى
مكانها , فشاهدت وراء الطاولة صندوقا
خشبيا صغيرا أرادت أن تعرف بعض أسراره
, ففتحته..... وشهقت إذ شاهدت فيه
القناعين اللذين أستخدماهما في تلك الحفلة
الراقصة في روما , أحتفظ بالقناعين.....
كما أحتفظت هي بالوردة البيضاء , يريد أن
يتذكر كيفية اللقاء بينهما..... ويحتاج الى

شيء يحتفظ به للذكرى عندما يضطران
للأفتراق.

عادت الى الفيلا والألم يعصر قلبها ,
ستواجه الكثير من المصاعب بعد الآن ,
ولكنها مضطرة لتحملها بسبب العقد الذي
وقّعه مع سيرافينا , كيف ستشعر عندما
ستراها بين ذراعيه؟ اللعنة! يجب أن تتصرف
معه وكأنها غريبة مهذبة.....

تأملت الفيلا قبل دخولها اليها , فلم تجدها
جميلة كالسابق , بدت كسجن كبير يجب أن

تمضي فيه فترة عصبية وأليمة , بيته الصغير
أجمل بكثير ولكنها لن تتمكن من الذهاب
اليه , وترقرقت الدموع في عينيها.....

7- الأصيل والبديل !

حملت سيرافينا صورة ابنها للمرة العاشرة
تقريبا وتأملتها مليا , قبل أن تقول بصوت
حزين .

" كان وسيما جدا عندما أخذت له هذه
الصورة قبل عام , غير الجرح في شفته الكثير

من ملامح وجهه الجميل , يا دونا , إنه يبدو
الآن.... عيفا وقاسيا".

كانت دونا تجلس في كرسي قرب الكنبه التي
تستلقي عليها سيرافينا بعباءتها الجميلة الملونة
, والدفتر والقلم بين يدي دونا , ولكنها لم
تدوّن الكثير من الملاحظات بسبب حديث
الممثلة المستمر عن أبنها , كانت سيرافينا
تنتظر جوابا , فقالت لها:
" ليس الى هذا الحد , يا سيرافينا".

" ماذا تقولين ؟ ألا يمكنك أن تقارني بين هذه الصورة وما هو عليه وجهه الآن ؟ أنا أعرفه أكثر منك , فلا تجادليني ."

" أنا لا أجادلك , الفارق الوحيد بين العام الفات والآن هو التغيير الطفيف الذي طرأ على شفته , بأستثناء ذلك , فهو لا يزال رجلا وسيما للغاية ."

" رجل ... نعم , هذا هو الأمر , هذا ما حدث بالضبط , أدركت فجأة أن أدوني أصبح رجلا , ولم يعد ذلك الشاب الجميل

المدلل , هل تألم كثيرا يا دونا ؟ هل تحمّل
الأم بشجاعة؟".

أكدت لها دونا للمرة العاشرة أيضا أنه كان
شجاعا للغاية , وأنه تحمّل الألم برجولة
وعنفوان , ثم أضافت قائلة :

" أنه لم يفقد أي شيء من جاذبيته , سيرافينا
, لا بل أنه "

توقفت عن أتمام جملتها , لأنها تعتبر أن
العملية الجراحية التي أجريت لشفته السفلى
حوّلتها من شفة ممتلئة مثيرة للفتيات الى شفة

قوية تعجب بها النساء , وأكثر من ذلك

..... أنه أكثر شبها..... بأبيه!

تأملتها سيرافينا طويلا ثم سألتها بصوت

ناعم:

" أنك تعتبرين أبنى جذابا , أليس كذلك؟".

أبتسمت دوننا وقالت:

" أي فتاة تتمتع بنظر عادي ولديها مشاعر

طبيعية لا بد أن تجد أدوني جذابا".

لم يحاول أدوني أبدا أخفاء أعجابه بها ,
وسيرافينا تعرف ذلك , أنها تعرف أيضا أنهما
يسبحان معا في البركة الخضراء الكبيرة
ويتمشيان لفترات طويلة على حافتها , لم يعد
أدوني راغبا كثيرا في قيادة سيارته
بسرعة..... أو المقامرة , أعتاد على تسليّة
نفسه بالأشياء المتعددة المتاحة له في البيت
..... في بركة السباحة , الى غرفة الألعاب
المنوعة , الى قاعة السينما الصغيرة التي
تعرض فيها أفلام سيرافينا وغيرها من نجوم

هوليوود في عصرها الذهبي , أعترفت دونا
لنفسها وهي تتذكر هذه الأمور بأن سجنها
الكبير مزوّد بكافة وسائل الراحة والتسلية
والترفيه عن النفس , إلا أن عذابها القوي
الناجم عن وجودها قريبة من ريك وبعيدة
عنه في آن واحد , آخذ في الأزدیاد بحيث
أصبح توتر أعصابها يجرمها من النوم معظم
ساعات الليل , تتألم كثيرا عندما تتخيّله في
غرفة سيرافينا , وعندما لا تجد في الصباح
شريطا تسجيليا لتدوين محتوياته على الورق ,

تتلوّى من آلام الحسد والغيرة , كيف يمكنها
أن تحب رجلا مستسلما الى هذه الدرجة ,
جسما وروحا , لمطالب امرأة أخرى ورغبتها؟
" أعتقد أن أدوني بدوره يجذبك جذابة جدا ,
أليس كذلك؟".

" السبب الوحيد لذلك هو أننا موجودان معا
في مكان واحد , لا لا أريدك أن
تتخيلي أنني أحاول بأية أعمال سخيفة لحمله
على التعلق بي , أنا سكرتيرتك وممتنة جدا

لك لأنك تسمحين لي بالتمتع بوسائل الترفيه
المتاحة في بيتك".

أطلقت سيرافينا ضحكة غنج خفيفة ،

وقالت:

" لا مبرر لمثل هذه الحساسية يا دونا ، أنا
أعرف أبني ، ولا أريد أن يلحق بك أي أذى
بسببه ، عذب كثيرات غيرك بتصرفاته
الطائشة اللامبالية ، ولكن معظمهن كن نساء
يعرفن أن عليهم عدم التورط معه ، أنني
أوافق ريك في رأيه بأنك شابة من طينة

تختلف عن بقية النساء , لم يكن لديك قبلا
أي مغامرات هوجاء مع الرجال , أليس
كذلك؟".

" لم أشعر أبدا بأي رغبة في ذلك".

أحمرّت وجنتاها رغما عنها عندما ذكرت
سيرافينا أسم ريك , من المؤكد أنهما بحثا معا
في أمرها , وأن ريك أوحى اليها صراحة أن
أهتمام أدوني بها آخذ في الأزدیاد , شعرت
بأن التناقض في مشاعرهما يمزق قلبها
فمعرفة أنها بأنه يهتم بها وبأمورها تسرّها كثيرا ,

ولكن تدخله في حياتها الخاصة يثير في نفسها

شيئا من الأشمزاز.

راقبت سيرافينا أحمرار وجه دونا ونظراتها

الزائغة , ثم سألتها بهدوء:

" أوه ! هل من الممكن أن تكوني عاشقة يا

دونا ؟ يدل أحمرار وجهك على أنك فتاة

يخفق قلبها بسرعة أكثر من المعتاد ,

طبعاً.... الأمر ممكن جداً ! أدوني ساحر في

وسامته وجاذبيته , وأنت صغيرة لا خبرة

لديك أطلاقا في هذا المجال ! آمل , يا
صغيرتي , في ألا يكون حاول أغراءك!".
" طبعا لا.....".

" أنت فتاة بريطانية ومحافضة ويجد فيك
التحدّي المطلوب , بعد السهولة الكبيرة التي
سجّل فيها أنتصاراته عل نساء كنّ أكثر من
مستعدات لتلبية رغباته , أنت تجذبه كثيرا
لأنك مختلفة عن الأخريات..... شعرك
أشقر.... وبشرتك البيضاء الرقيقة حوّلتها
الشمس الى هذا اللون العسلي المثير , هل

اخبرك يا عزيزتي , أن لديه خطيبة أيطالية
تكمل دراستها الجامعية في فلورنسا؟".
أستغربت دونا أنها لم تفاجأ بنبا خطوبه , ولم
تهتم لأنه لم يبلغها ذلك بنفسه , كيف يمكنه
ذلك وهو يحاول مغازلتها منذ اليوم الأول
لوصولها الى الفيلا ؟ تظاهرت بالأهتمام
الجدي , ولكن سيرافينا بدت منزعجة لأنها
كانت تتوقع رد فعل عاطفيا أقوى , قالت
لها بلهجة قاسية الى حد ما:

" أتصور أنك تعتقدين بأن جاذبيتك ستكون أقوى من من أحساس أبنى بالمسؤولية أأأأ الفتاة الأأرى ! يبدو لى من عدم أستأرابك الأأر أنك كنت تعرفين مسبقا أأأه للزواج فى المستقبل القربى".

" لم تكن للى أى فكرة على الأطلاق أنه مقبل على الزواج , ولكننى لم أستأرب سماع ذلك منك , أعرف أن العائلات فى بعض مناطق العالم توافق على أأأوبة بناأها بمأرد أأوأهن من قاعة المأرسة".

" ستتهي أيزابيتا دراستها في القريب العاجل ,
وتعد فور ذلك ترتيبات الزواج , أحببت
أبلاغك ذلك كي تعرفي أين تقفين بالنسبة الى
أبني , لا أريدك أن تتصوري أنه حر ,
ومستعد للتورط معك بشكل جدي , ويعرف
أدوني جيدا أنني أريد له الزواج من شابة
إيطالية ووفقا للتقاليد القديمة في بلادنا".
صمت برهة ثم ربت على يد دونا وكأنها
تعزيها , وقالت:

" يجب أن تعرفي , يا عزيزتي , بأنك مجرد
أستراحة صغيرة في حياة أبنّي يمضيها بفرح
وسرور قبل أن يتزوج ويستقر نهائيا , أيزابيتا
فتاة طيبة وستكون زوجة ممتازة له , أنها الفتاة
التي أريدها له , هل تفهمين؟".

ردّت عليها دونًا بالأيجاب لأنها فهمت تماما
هدف سيرافينا , أنها لا تريد من زوجة أدويني
أن تخطفه منها..... تريد تقييد أبنها وزوجته
معها , تماما كما تفعل مع ريك , لن يتمكن

أي من الرجلين اللذين تحبهما من الأبتعاد
عنها أو التحرر من قيودها الجذابة المغرية.
" لن تقدمي أذن على أي عمل متهور أو
أحمق ! أنتم البريطانيون تسيطرون كثيرا على
أعصابكم وعواطفكم , أليس كذلك ؟
الكبرياء وعزة النفس قبل الأحاسيس
والمشاعر ؟ نحن أنفعاليون وعاطفيون أكثر
منكم , وأنا متأكدة من أن الزواج من بعضنا
أفضل لنا , بدي اعتقاد راسخ بأن عروس
أدوني الشابة ستساعده الى درجة كبيرة".

شعرت دونا بالتأكيد أن صبية أيطالية مطيعة
تخرج لتوها من مدرسة داخلية للبنات , لن
تتمكن أبدا من فرض شخصيتها وأرادتها في
قصر نيري , ولا شك في أن العروسين
الشابين سيعيشان في الفيلا , حيث يظل
أدوني قريبا من محطة النقود ويظل مدلا
..... الى أن يفقد الجسارة والسحر اللذين
ربما كانا سيساعدانه على تخطي أساليبه
الحالية , وعندما تنهدت دونا , بادرتها
سيرا فينا بالقول:

" آسفة , يا عزيزتي , لأنني آملك وأصبتك
بخبية أمل مريرة , إلا أنه كان من الأفضل
لك أن تعرفي الموضوع من كافة جوانبه".
شعرت دونا بالحسرة والألم وهي تنظر الى
هذه المرأة التي تسيطر على ريك وتتعبده ,
أنها بلا شك رائعة الجمال وجذابة الى أبعد
الحدود ولا يمكن بالتالي من توجيه اللوم الى
أي رجل يعشقها ويسلمها جسمه وروحه!
ولكنها لم تعد تحمل التفكير بأن ريك يخص
هذه المرأة التي لا يهتمها في الحياة سوى

أرضاء نفسها ! وفجأة , عادت ممثلة الأغراء

الى القول:

" يسرني كثيرا أننا أصبحنا الآن نفهم بعضنا جيدا , لن تسخري قلبك لأدويني , لو كنت فتاة حكيمة ... مع أنني أعتقد أنه يمكنني منعه من تشجيعك على ... ز التهور , في أي حال , أنت شابة بريطانية متحررة , وهذا يحدث أحيانا مع معظم النساء , أتصور أن أدويني عاشق رائع.... وربما يكون قاسيا الى حد ما , إذا كنا نؤمن بتأثير الوراثة".

شعرت دوناً بتسارع ضربات قلبها... أنها
تشير صراحة إلى أبوة أدويني ، وقالت لنفسها
أن الشاب ورث بالتأكيد بعض القساوة عن
ريك ، تحركت في مكانها بأنزعاج ، فوق
الملف عن ركبتيها وتناثرت أوراقه على
السجادة المخملية ، جمعت الأوراق ثم وقفت
تأمل القاعة الصغيرة ، متجنباً نظرات
سيرافينا وأبتسامتها الخبيثة ، تنهدت سيده
القصر بصوت مسموع ، ثم نظرت إلى
ساعتها الثمينة وقالت :

" لا أشعر اليوم بأني راغبة للعمل , أنها
الحادية عشرة تقريبا , فلماذا لا تذهبن الى
شرب القهوة ؟ هيا , أذهبي , سنبدأ هذا
لفصل الجديد صباح غد بأذن الله , أذهبي
وأدخلي السرور الى قلب أبنني , ولكنك
ستتذكرين حديثنا القصير , أليس كذلك؟".
غادرت القاعة الصغيرة بسرعة وهي متوترة
الأعصاب لدرجة فائقة , ليس بسبب خطوبة
أدوني أو حديث أمه المزعج معها , ولكن
لأنها شعرت بالتأكد من رائحة الدخان

المنبعثة من الغرفة المحاذية أن ريك أمضى
الليل مع سيرافينا , ومع أنها تدرك بألم وحزن
شديدين أنه ليس لديها أي أمل في الحصول
عليه , إلا أنها شعرت بحنق بالغ وعذاب
قوي لمجرد معرفتها بأنه أمضى ليلته مع امرأة
أخرى امرأة جذابة مثيرة تنسيه على
الأرجح أنه كاد يذيب تلك الفتاة البريطانية
بين ذراعيه.

ذهبت دوننا الى غرفة المكتب لتضع أوراقها
وقلمها هناك , كانت أشعة الشمس تتدفق

على تلك الغرفة..... ولكنها لم تقبل بأن
تبقى وحيدة مع ذلك الفارس الأسود
الصامت , ذهبت على الفور الى إحدى زوايا
الحديقة , أرادت الأنفراد بنفسها والأبتعاد
عن الآخرين , ولكن أمنيتها لم تتحقق , كان
ريك وأدوني يجلسان الى طاولة حديدية
صغيرة , يشربان القهوة ويأكلان الحلوى , لم
يكن لديها مجال للتراجع , لأن الرجلين وقفا
أحتراما لها وطلبا منها الأنضمام اليهما ,

أبتسم أدوني وقال لها , فيما كان يساعدها

على الجلوس:

" أمر جميل منك أن تأتي فتضمي الينا".

أبتسمت له وكأنها مشتاقة فعلا لرؤيته ,

وقالت:

" لم تتمكن والدتك من التركيز على الفصل

الجديد , فطلبت مني أن أذهب لشرب

القهوة".

نظرت بسرعة الى ريك , ولكن ملامحه القوية
لم تتغير أو تبدّل , كان يجلس بهيبة وعنقوان
, وبدا قويا عندما قال لها:

" يجب أن تشربها معنا , من المؤكد أن أدويني
سيبادر الى أحضار فنجان إضافي , أليس
كذلك , أيها الصديق؟".

" فورا , وبكل سرور".

مرّر أدويني أصابعه على ذراعها بحنان وقال
لها:

"كنت تبدين قبل لحظات , قرب تلك
الشجرة , وكأنك تخرجين من الظلام , ربما
كان ذلك بسبب هذا الفستان الباهت اللون
, أو بسبب نظرات معينة في عينيك ,
ستظنين هنا ولن تهربي من ريك , أليس
كذلك؟ أعتقد أنه يخيفك قليلاً".

"هراء ! أؤكد لك , يا أدوني , بأن أعصابي
قوية وثابتة تماما وبأنني لا أخاف أبداً من
السيد لورديتي , إنه رجل كبقية الرجال.....
وأنا متأكدة من أن لديه جوانب رقيقة مثل

أي شخص آخر , على الرغم مما يقال عن
قساوته وشدة بأسه".

ضحك أدوني وقال:

" وأخيرا , هذه فتاة شجاعة ترفض أن تدع

أسطورة لورديتي ترعبها أو ترغمها على

الركوع أمامه ! سأعود بالفنجان خلال دقائق

"

تعمدت دونما التطلع نحوه الى أن غاب عن

نظرها , شهقت بصوت خافت عندما شعرت

بأصبع ريك تلمس معصمها وبذلك التيار

الكهربائي يصل الى رأسها , سحبت يدها
بسرعة ووضعتها مع الثانية على ركبته , قال
لها ريك بهدوء:

" سوف يسيء فهمك فيما لو حاولت
مغازلته , يا دونا".

" هل هذا ما حدث معك ؟ هل تتصور
نفسك الرجل الوحيد هنا الذي أجده
جداً با ؟ تذكر أنني شلبة بريطانية , نحن
شعب متحرر , نقفز كالنحل والفراشات من

زهرة الى أخرى ونزداد خبرة ومهارة

مع مرور الزمن".

" توقفي عن محاولة الظهور بمظهر فتيات

المجتمعات المخملية".

أرتعش جسمها لدى سماعها تلك اللهجة

التي لسعتها كالسوط , ونظرت اليه بتحدّ ,

أحست بأن شيئاً منه أمتد اليها ولامسها ,

مع أنه هذه المرة لم يحرك ساكناً , قالت له ,

وعيناها تحملان نظرات الأشمئزاز والأعتراض:

" توقف عن إصدار الأوامر , لست لعبة في
يديك , يا سيد لورديتي , مع أنك تعتقد
ذلك بصورة راسخة.

" أحب أن أعرف السبب الذي يحملك على
التحدث كفتاة أكلت ليمونة مرة , ربما لأنك
خائفة , تفضلي".

نظرت الى الأزهار التي تحوم حولها فراشات
كبيرة بيضاء , وقالت :
" لا , شكرا".

" يجذب ذكر الفراشات أثناء فترة الأخصاب
بحمل عطور فواحة على جانبيه بعكس
الرجل والمرأة , أليس كذلك؟".

" أوه , أني لا أعرف , فرائحة التبغ وبعض
أنواع الصابون والعطور التي تستخدم بعد
الحلاقة قد تفعل الأعاجيب بالنسبة الى كثير
من النساء , أتصوّر أن بإمكاننا أن نترسل
في أحاسيسنا ومشاعرنا , ولكننا نقدر أيضا
أن نعود الى عقولنا..... كمن يستيقظ من

أحد الأحلام المجنونة التي من الأفضل

نسيانها".

" وهل ما حدث بيننا حلم مجنون , أيتها

الحبيبة ؟ كان بإمكانني أن أقسم آنذاك أننا في

حلم مستحيل تمّينا معا أن يدوم الى الأبد".

أجابته بتوتر ملحوظ , قائلة:

" كلمة مستحيل هي التي تصف الوضع على

حقيقته , لا بد أنني فقدت عقلي الصغير

عندما عندما سمحت لك بعناقِي".

نظر اليها بعينين جمّدتاها في مكانها , فيما

كانت أبتسامه خفيفة خطرة تعلو شفثيه

وقال لها بهدوء مذهل:

" أتذكر جيدا , أيتها العزيزة , أن المشاركة

كانت متبادلة , ماذا حدث لتبريد ذلك

الحنان الدافئ , الذي أذكره بكل وضوح ؟

كنت قصيدة من الشعر العذب الرقيق , وها

أنت الآن كخبز علمي جامد , لا شك أن

هناك سببا.....".

"أوه ، نعم ، يا ريك ، هناك بالتأكيد سبب
لذلك ، ولكن هل من سبب لقوله ! هل
تعلم رفيقتك وسيدتك أنك تقوم بهذه
الأعمال خفية عنها؟".

"رفيقتي؟".

رفع حاجبيه بأستغراب بالغ ونظر إليها
بقسوة بالغة ، شعرت معها وكأنها تريد صفعه
بقوة ، قالت له ببرودة:

" أنت تعرف تماما من أعني".

" تعنين سيرافينا !".

حرّك الفنجان بأصابعه القوية , فتدّكرت دوناً
رغماً عنها كيف شعرت عندما لامست هذه
الأصابع بشرتها الشابة وأذابتها.....

أغمضت عينيها لأنها لم تعد قادرة عل النظر
اليه , سأها متمتما:

" أأست سعيدة الآن لأننا لم نصعد تلك
الدرجات معا".

" الى أبعد حدود السعادة , كان لديك على
الأقل ذلك القدر من الضمير الأنساني!".

" نعم يا عزيزتي , لديّ ضمير حي , ولكن يبدو أن بعض الأشخاص , يمكنهم النجاة بأنفسهم حتى بعد أن يصيبهم سهم الجاذبية القاتل ."

أرتعش جسمها وقالت له على الفور:
" أنك تتظاهر بأن الأمر مؤلم جدا! ".
" أنه كما تقولين , وكل منا يعرف ذلك ,
والمؤسف في الأمر أن الحب يبدو وكأنه ليس
إلا للذين يحبون تعذيب أنفسهم ."

نظرت اليه بحنق وغضب بالغين , وقالت

بحدة:

" لن تتحدث عن عن الحب ,

لماذا لم تتركني وشأني منذ البداية ؟ لماذا

عانقتني وتظاهرت بأنك.....".

" أتظاهر , يا دوننا؟".

شعرت بأنه على وشك تحطيم الفنجان الفارغ

بين أصابعه , سألته بأنزعاج:

" ألم تكن تتظاهر , يا ريك ؟ ألم تلعب دور
العاشق الأسمر مع السكرتيرة الأخبية
الصغيرة الضعيفة وكأنك تنقل الحوار
حرفيا عن أحد هذه الأفلام القديمة التي
تريدنا سيرافينا أن نراها معها على شاشتها
الخاصة ؟ هل هكذا تمتته بوقتك , يا ريك ؟
عندما تفك الطوق من حول عنقك وتذهب
بمفردك الى روما , هل تلتقي غالبا فتاة صغيرة
ضائعة تسمح لك.....".

"إصمتي ! لن تمر لحظات طويلة وأنت بمثل
هذا الأنفعال والعصبية , حتى تنهمر الدموع
من عينيك هيا سيطري على
أعصابك وتمالكي نفسك , فأدوني عائد الآن
الينا , أتصور أن فنجانا من القهوة
سيساعدك كثيرا".

كان قلبها يخفق بسرعة كبيرة وركبتها ترتجفان
تحت الطاولة , ولكنها تمكنت من التظاهر
بأنها على ما يرام عندما وصل أدوني ومعه

فنجانها وأبريق القهوة الطازجة , أنه لجحيم
بذاته عندما تحب الفتاة رفيق امرأة أخرى!
" تريدك سيرافينا أن تقابلها الآن , يا ريك ,
لتبحث معك بعض الأمور الحسابية , فهناك
فاتورة تعتقد بالتأكيد أنها دفعتها سابقا ."
" سأذهب إليها ."

وقف قرب الطاولة بهامته الكبيرة الشامخة ,
فمنع الشمس عن دونا , ولكنها لم تنظر إليه
, وتمنت لو أنها لم تلتق به أبدا ! وسمعته يقول
لها بهدوء :

" تحلو القهوة المرة من يدك , أليس هذا ما
يقولون؟".

ضحك أدوني وقال :

" لورديتي يتحدث بالشعر ! ماذا حدق له يا
تري؟".

ثم أبتسم بنعومة وأضاف:

" أنك جميلة جدا هذا الصباح , أيتها
العزيزة , شعرك الأشقر الجميل كسنا بل
القمح الذهبية , وبشرتك ناعمة كالحرير

المرشح بخيوط الذهب الصافي , شفتاك

القرمزيتان كأزرار الورد ."

" أدوني ! يجب ألا تقول لي مثل هذا الكلام

, أعتقد بأن عليك الاحتفاظ به لعروسك

الأيطالية".

نظر اليها أدوني بذهول ولم يتكلم إلا بعد

فترة صمت طويلة , قال لها:

" هل كان لورديتي يحدثك عن هذه الفتاة ,

التي تتوقع أمني أن أتزوجها في نهاية

الصيف؟".

" أمك هي التي أخبرني بذلك , يا أدوني ,
أنها قلقة من أنّ علاقة..... الصداقة بيننا
أصبحت أضر ودا دعني أهنئك على زواجك
المقبل , فهمت من والدتك أن الخطيبة فتاة
إيطالية طيبة ومحافضة".

عقد جبينه بطريقة ذكرتها كثيرا بلامح ريك
عندما يغضب وقال لها:

" وهل تتصورين أنني أحب هذه هذه
الإيطالية؟".

" الحب هو أحد العناصر الضرورية لأعداد
كعكة العرس , ويبدو أن أمك سعيدة جدا
بخطبتك الطيبة وتشعر بالتأكد أنها ستكون
زوجة ممتازة لك ."

" وأنا أشعر عكس ذلك تماما , فالفتاة
منتفخة الأوداج سمينة الجسم , ولا تعرف
شيئا عن الحياة , وافقت على الخطوبة آملا
في ألا تتذكر سيرافينا ذلك بعد حين ."

وضع أصبعا على أثر الجرح في شفته وحدّق
بذهول في فنجانه الفارغ , صبّ لكل منهما
مزيّدا من القهوة , وقال :

" يجب أن ألغي هذه الخطوبة السخيفة ! رباہ
, لا يمكنني أن أتزوج فتاة جاهلة
بسيطة مثلها , كيف يمكنني أن أتعهد لها أمام
الكاهن بأنني سأحبها وأرعاها طوال العمر ؟
طردت هذه الفكرة من رأسي معظم الوقت ,
ولكنه يبدو أن أمي متشبّثة بالفكرة حتى
النهاية , يا للهراء! "

رفع رأسه فجأة , فلاحظ أن دونا تنظر اليه ,

إبتسم وقال لها بسرعة:

" سأخبر سيرافينا بأنني أريد الزواج منك!".

صعقت دونا ومنعها الدهول عن الكلام ,

فمضى أدوني الى القول:

" أشعر معك بأرتياح كبير , وعندما أمسك

أو أقترب منك , تتفجر في نفسي أحلى

المشاعر".

" هذا ليس حبا!".

أقرب منها وقال لها , فيما كان ينظر اليها

بعينين برّقتين :

" أنت لست طالبة مدرسة , يا دونا , أنت تعرفين , كما أعرف أنا , أن الحب في معظمه حسّي .. مع قليل من التحمل والنعومة , وقليل من المشاكسات العادية المتعارف عليها بين الرجل والمرأة , أريد ليلة عرسي أن أشعر بالدفء والترحيب , لا أريد تلميذة صغيرة ترتجف بين ذراعي ولا تعرف كيف

تسعدني وتحلق بي على أجنحة السرور , أريد
شعرها الناعم أن يغطي الوسادة".

أشتغلت عيناه شغفا وهياما , وشاهدت
فيهما دونا ذلك الشبه الهائل للرجل الوحيد
الذي يمكنه أن يهز عظامها بنظراته ويدخل
الى صميمها بسطونه وجاذبيته.

" أرجوك , يا أدوني , ألاّ تتحدث معي بهذا
الأسلوب , نحن نعرف تماما أنه لا يمكننا أن
نكون أكثر من مجرد صديقين , هيّا , خذ

قطعة من هذه الحلوى ولتحدث عن شيء
آخر".

" يا لأنسانيتك , أيتها الحبيبة ! أنك تهتمين
بمشاعر الناس الآخرين , مع أن هناك عددا
مذهلا من النساء اللواتي لا يهتمن سوى
أنفسهن , ينصب اهتمامهن كله على
أشكالهن , وعلى ما يقوله الناس عنهن ,
تمضي مثل هذه النساء أعمارهن وهن
يعتقدن بأنهن وحدهن محور اهتمام الرجال
ومحط أنظارهم , حتى أمي.....".

توقف عن أكمال جملته وهز كتفيه ثم رفع

فنجان القهوة الى شفتيه وقال لها بعد

لحظات:

" سيرافينا هي امرأة يجب أن تدلّ دائما

..... وأن تحصل دائما على ما يسعدها

ويرضيها , بما في ذلك مسألة زواجي ,

أخبريني , هل لاحظت آثار جروح في

معصمها؟".

هزت دوناً برأسها أيجاباً ، كانت الجروح
كخطوط رفيعة جداً ولكنها لم تكن
حديثاً على الأطلاق ، وتصوّرت أكثر من
مرة أن سيرافينا ربما حاولت الانتحار في
إحدى فترات حياتها.

" حدث ذلك قبل ثماني سنوات ، وأعتقد أن
لريك علاقة بالأمر ، أنهما يجيطان خلافتهما
بسرية تامة ، ولكنني أتصور أنه أراد المزيد
من الحرية ، لديه ناد في روما يديره له
شخصاً آخر ، وأظن أنه أراد القيام بدور أكبر

في ناديه... ولكن أُمي تحتاجه باستمرار ولا

تعرف كيف تعيش بعيدة عنه".

تنهّد أدوني وصمت برهة ثم عاد الى متابعة

حديثه قائلاً:

" لا أعرف تماماً مدى حبه لها , ولكنني كما

قلت سابقا , إنها تحتاج اليه بشكل يائس لا

يصدّق , وكي تعاقبه حتى عل التفكير

بالأبتعاد عنها قليلا , أخذت شفرة حادة

وقطعت معصمها بها , شيء مقزز , أليس

كذلك؟ ولكن بعض النساء يذهبن الى مثل هذه الأبعاد لتحقيق أهدافهن ومآربهن".

تأمل دونا طويلا وكانت أصابعه تنقر بعصبية بالغة على الطاولة ثم قال :

" أتصور أنك مستعدة للعيش فيجحيم لا يطاق , قبل أن تفعلي شيئا مماثلا لرجلك ,. أشعر بالتأكد أنك أنسنة تحبالعطاء الجميل والأعمال الخيرة , أنت فيخارجك كما في داخلك , ولا تعرفين أن من النادر وجود فتيات مثلك في هذا العصر بالذات ,

تعجبني صفاتك هذه الى درجة كبيرة , وهذا
ما أريده فيزوجة المستقبل , أريدك أنت يا
دونا , أريدك أنت !".

أمسك بيديها وجذبها نحوه قائلاً:
" أريدك أن تكوني لي..... أن تكوني
ضلوعي , جذوري , أمراةي.....".
" لا !".

أفلت منه وهبت واقفة ثم قالت له بحدة:
" لا يمكنك أن تفسخ خطوبتك هكذا ,
وتحطم بالتالي آمال الفتاة وأحلامها , في

بلادي لم يعد هذا الأمر يهم كثيرا , لأن
عددا كبيرا من الناس لا ينظرون الى مواضيع
الزواج بجدية تامة , أما هنا في إيطاليا ,
فالمحافظة على كلمة الشرف لا تزال أمرا هاما
للغاية وأنت تعرف ذلك جيدا يا أدوني
!"

" يمكننا أن نهرب معا الى مكان بعيد
و....."

شعرت دوننا بأن عليها أن تقول شيئاً يضع
حداً نهائياً لهذا الحديث الرومنطقي الفارغ
السخيف ، قاطعته قائلة:

" وماذا تفعل للحصول على المال ؟ يشتغل
الناس عادة في العالم الحقيقي ، يا أدوني ،
أنهم لا يعيشون برفاهية وترف دونما أي جهد
أو عمل كما تفعل أنت حالياً في عالم
أملك الخيالي ."

حدّق بها طويلاً ثم أشتعلت عيناه وكأن عود
ثقاب مشتعلاً ألقى على كمية من الأوراق

فهبّت النار فيها ، شاهدت في عينيه شيئاً
مرعباً ومذهلاً لا يشبه نظرات ريك إطلاقاً ،
أطاعت حاستها السادسة وولت هاربة نحو
المكتب ، ولكن أدوني لحق بها قبل أن تتمكن
من أقفال الباب وأمسك بكتفيها ، أدارها
نحوه بعنف بالغ وكان الشرر يتطاير من عينيه
كقط بري متوحش ينقض على فريسته ،
حاولت التملص منه وهي تصرخ :
" أتركني ! أتركني ! " .

غرز أصابعه فيجسمها حتى بلغت عظامها ,

وصرخ بها بوحشية :

" سوف أعلمك درسا قاسيا , أيتها السليطة

اللسان !".

رفعها بقوة بين يديه ثم رماها بوحشية على

الأرض وأنقض عليها , أمسك شعرها بيد

ومزق ثيابها باليد الأخرى , ضربته بعصية

ورفسته بغضب , ولكنه بدا قويا جدا وغير

آبه بما تفعله , وتذكرت برعب ما قرأته مرة

..... من أن الرجل الذي يصمم على أمر

كهذا قد يقتل المرأة في ذروة غضبه من دون
أن يعرف أنه يفعل ذلك.

"أذن فأنت لا تريدين الزواج مني ؟ سوف
تطالبيني بذلك وتتوسلين إليّ إلا أتردد أبدا
بمجرد أن أنتهي منك الآن ، أيتها القطة
المدللة !".

كان كابوسا مزعجا وكانت كلما
أزدادت محاولاتها للتخلص منه ، أزدادت
قوته ووحشيته.

" أرجوك ، يا أدوني ! أتوسل اليك !".

" توسلي, توسلي أيتها الفاجرة ذات البشرة

..... الجميلة ! توسلك أجمل موسيقى

أسمعها "

ثم لكمها بقوة على فمها , مما أدى الى جرح

شفتها , وصرخ بها :

" توقفي عن المقاومة , ما لم تكوني راغبة في

التعرض لأذى أفدح مما هو ضروري "

" أدوني , أنك تتصرف كأنسان مجنون

أوه , رباه , توقف عن ذلك ! "

" نعم , أنا مجنون بك , ولكنك تحبين أن
يبقى الرجل على مسافة معينة منك وألا
يأخذ حريره معك ما رأيك بهذه الحريات
الصغيرة الآن؟".

تألمت , فزعت , شعرت بأشمئزاز لا يمكن
تخيّله , حتى وجهه بدا متغيرا الى درجة مذهلة
, وشعرت بده تتسلل الى خصرها ! أدوني !
أهذا هو أدوني , الشاب الوسيم الذي
شعرت نحوه ببعض العطف والمحبة لأنه جزء
من ريك ! غرزت أصابعها في السجادة

السميكة وأستعدت للحظة المناسبة التي
ستقدم فيها على محاولاتها الأخيرة لأبعاده
عنها , وما أن تحرك قليلا , حتى جذبت
رجلها ووجهت اليه بركبتها ضربة قوية مؤلمة
دونما أي اهتمام أو وخز فيا الضمير , كان
صراخه كوحش جريح موسيقى جميلة لأذنيها
المعذبتين , تراخت قبضته قليلا , فتحررت
منه بسرعة البرق وهبت واقفة ثم ركضت
بأقصى سرعتها , يدفعها الى ذلك خوف
وهلع لم تعرف لهما مثيلا في حياتها.

لم تنتبه الى أن ثيابها وجسمها ترتجف كورقة
في مهب الريح , كانت شفرتها الدامية تؤلمها
كثيرا , وذلك رجلها وظهرها , ماذا حدث
لأدوني ؟ كيف يتصرف على ذلك النحو
المجنون ؟ وبدا وكأن الشيطان دخله وجعله
شخصين مختلفين , لم تكن تتخيل أو تحلم بأن
هذا الشاب اللطيف الساحر يمكن أن
يتحول فجأة الى شخص شرير فاسق
الى حيوان مفترس.

ضمت قطع الثياب الممزقة الى صدرها
وأستدارت لتذهب الى شقتها الصغيرة
ولكنها توقفت فجأة , كان ريك يقف أمامها
بقامته الطويلة القوية ينظر اليها بعينين
فولاذيتين غاضبتين , تضايقت كثيرا لأن
نظراته كانت مركزة على نصفها الأعلى شبه
العاري , وتطالبها بأطلاعه على التفاصيل
8- الحلم المستحيل
" و.....وقعت".

قالت تلك الكلمة وهي تشد القطع الممزقة
الى صدرها وتنظر الى الأرض.
" لا بد أنك وقعت بقوة كبيرة! "

أقرب منها قليلا فتراجعت بسرعة الى الوراء
, لأن الصدمة التي خلفتها محاولة أدوني
الشريرة كانت لا تزال قوية جدا في نفسها ,
شاهد ريك في عينيها نظرات امرأة حزينة
تعرضت لحادثة بشعة , فقال لها بنيرة جدية:
" تركتك مع أدوني "

لاحظ فجأة شفتها المتورمة ، فأتسعت عيناه

حنقا ودهشة وصرخ قائلا :

" رباه ! ما هذا؟".

قاطعته بعصبية بالغة ، قائلة :

" أتركني يا ريك ، دعني أذهب الى".

قال لها والشرر يتطاير من عينيه المتسعيتين

غضبا وذهولا :

" هل فعل ذلك بك ؟ هل حاول؟".

" أرجوك ، أريد الذهاب الى غرفتي".

حاولت السير فتصدى لها , حبس الخوف
أنفاسها , ولكنها تمكنت أن تقول له :
" تشاجرنا , هذا كل ما في الأمر , مزق
فستاني ولكنني لا لا أظن أنه كان يعني
ذلك".

" هل صفحك أو لكحك ؟ أم أنه قبلك عنوة
ورغما عنك ؟".

" وقعت وأرتطم وجهي بالأرض ,
أرجوك يا ريك , أريد الذهاب الى غرفتي
لأستبدال ملابسني".

" يا فتاتي العزيزة , لا تدافعي عن الوحش إذا
كان فعل ذلك بك !".

نظرت دوننا الى وجه ريك وفهمت لأول مرة
سبب أشمئزازه من أدوني , بالرغم من تأكدها
أن دمهما واحد , قال لها مرة أن في نفس
أدوني شيئاً من الوحشية القاسية , وعرف
الآن بمجرد تأمل حالتها أنها وقعت ضحية له
, أقرب منها ريك خطوة أخرى , وسألها:
" ماذا حاول أن يفعل معك ؟ لا تخافي , يا
صغيرتي , فأنا لن ألحق بك أي أذى ولن أمد

يدي أليك ! ولكن إذا تعرضت للأذى على
يد أدوني , فأنني سألقنه درسا قاسيا لن ينساه
في حياته , أخبريني , يا دونا , ماذا حدث
!" .

كان آخر شيء تريده الآن أن يفقد ريك
أعصابه تماما , لأنه قوي جدا وقد يقتل
أدوني إذا ذهب اليه بمثل هذا الغضب العارم
قالت له :

" قلت له جملة سخيفة جعلته يشتعل غضبا
, أرجوك , إعتبر الموضوع وكأنه لم يكن ,

سأطلب من سيرافينا أن تعفيني من مسؤوليتي
، لأنني قررت مغادرة افيللا بأسرع وقت
ممكن ، أنه أفضل حل..... بالنسبة الى
الجميع ."

" لا يمكنك أن تذهبي !".

أتسمت ملامح وجهه بالعنف والوحشية ،
وتنازعت قلبها مشاعر مضادة متناقضة
..... فمن ناحية كانت خائفة مذعورة من
النتائج المحتملة ، ومن الأخرى كانت مسرورة
لأنه لا يريد لها أن تذهب ، ولكنها لم تتمكن

من تجاهل التصرفات الوحشية القاسية التي

ورثها أدوني عن ريك.

" لن أدعك تهربين من ذلك الوغد الحقير !

لست مضطرة".

" بلى , يا ريك ."

حاولت تجاوزه ولكنها كادت تهوي على

الأرض لمجرد أحتكاكها به , رفعها بين ذراعيه

القويتين وأخذها الى غرفتها , أغلق الباب

برجله , فيما كان يضمها بقوة ويدفن وجهه

في شعرها , وسمعته يتمتم قائلاً:

" سأقتله لو أنه نال منك مآربه ! يجب أن
أعرف الحقيقة , يا دونا , وإلا فقد أصاب
بالجنون !".

كانت ترتجف بقوة ولم تكن متأكدة مما إذا
كانت خائفة من ريك أم لا , أوه , لا
..... لا يمكنها أن تلوم ريك على الشر
الذي ظهر بأدويني.

" لا.... لم يصل الى هذا الحد".

أحسّت فجأة بأن ذراعيها زحفتا بإرادة ذاتية
وطوقتا عنقه , أقتربت منه لتشعر بقوته

..... وحمايته التي تحتاج اليها الآن بصورة

بأئسة , ثم مضت الى القول:

" لم تعد الأمور بأيدينا , غضب أدوني كثيرا

لأنني حدثته عن خطوبته أخبرني عنها

سيرافينا ولكنني لم أكن أتصور أو أحلم

بأنه..... بأنه سيغضب الى هذه الدرجة ,

فهو لا يريد الفتاة الإيطالية.....".

" لا , إنه يريدك أنت ! فأنت نوع جديد من

الألعاب والدمى التي يتمنى الحصول عليها

وتحطيمها بين يديه المدمرتين , ولكنني
سأكسر يديه إذا وضعهما ثانية عليك !".
تحدّث بعنف شرس مع أنه كان يحملها برقة
وحنان.

فأجابته بمحبة وهدوء:

"ريك , لا يمكنني أن أبقى في الفيلا ,
يمكنك بالتأكيد أن تفهم ذلك !".
" لن أدعك تذهبين , وأنت تدركين ذلك !".
" لست منطقيا ومتعقلا الآن يا ريك , لديك
سيرافينا ونعرف كلانا أن ما من

طريقة على الأطلاق لتجاهل وضعها بالنسبة

اليك , أنها تملكك جسما وروحا".

ظهر الغضب في صوته المتألم عندما سأها

بحدة:

" هل تعتقدين ذلك حقا ؟ هل تظنين أنني

مجرد نسخة أكبر عن أدوني , الذي لا هدف

له من بقائك هنا سوى تلويث تحفظك

وطهارتك وعفتك ؟ نعم أفهم , الى

حد ما , ماذا تفعلين به ! يريد الفاسدون

دائما جر الطيبين والنظيفين الى أوحالهم , إنه

شعور أساسي لا يمكنهم السيطرة عليه ,
وهذا الأمر في ازدياد متواصل مع الناس ,
أليس من النادر في هذه الأيام أن يلتقي
الرجل شابة تحترم نفسها بصورة فعلية
وحقيقية ؟ إيجاد فتاة كهذه كما إيجاد جوهرة
ثمينة على حافة نهر , يجب ألا تنفرد مع
أدوبي مرة أخرى أطلاقا , هل تسمعين ما
أقوله لك؟".

" أني ذاهبة يا ريك , أرجوك , أصغ لما
أقوله.....".

أغرق بقية كلماتها في عناق حنون , فرقص
قلبها فرحا وسرورا وألقت برأسها على ذراعه
..... ونسيت كل شيء , كانت تعرف تماما
أنها لن تقدر على مقاومة ريك , إذا بلغت
منه عواطفه حدا ينسيه ضميره وفروسيته ,
نعمت بشعور القرب منه وسمعته فجأة يتمتم
قرب أذنها:

"لا تتركيني يا دونا , أنا لا أتوسل أبدا في
حياتي , ولكنني أريدك أن تبقي حتى نضطر
الى قول كلمة الوداع".

الوداع ! كلمة حزينة جدا تضع مسافة باردة
بين أشخاص يتوقون الى القرب والدفء ,
أنها تكره هذه الكلمة وما توحى به , ضمته
اليها بقوة وأغرقت وجهه قرب قلبها
حيث كانت ترتعش هياما .

" رباه ! أيتها الحبيبة الغالية ! لا يمكنك أن

تعرفي , ولا يمكنني أن أصف لك مدى

الوحدة والعذاب اللذين أشعر بهما لمجرد

التفوّه بهذه الكلمة ! إبقى يا فؤادي ,

وسأضمن لك أن أدوني لن يزعجك أبدا بعد

الآن , إنه وعد ثابت يا عزيزتي , وأنا لا

أحنت أبدا بالوعد".

ظل جسمها ساكنا في حين كان قلبها يرتعش

بين ضلوعها لم يكن لديها أي شعاع من

الأمل , ولكنها ستبقى لأنه طلب

منها ذلك , اضطرت للأستسلام لرغبات

قلبها , مع أن قلبها سخر منها ووصفها بأنها

سخيفة وغبية سخيفة لأنها تعرف أن

لياليه كلها لسيرافينا , في حين ليست لديها

هي سوى لحظات وجيزة يسوقها معها أثناء

النهار , شعرت بأنفاسه الحارة فوق عينيها

المغمضتين وسمعتة يسألها:

" لن ترفضني طلبي يا دونا , أليس كذلك؟

سوف أتأكد بنفسني من أن أدوني لن يخيفك

مرة أخرى بعد الآن ."

فتحت عينيها وحدقت بعينيها الجميلتين

وبالشعلة الصغيرة التي بداخلهما , وقالت:

" ريك , أرجوك ألا تفعل شيئاً معه أو تضع

يدك عليه , لا مبرر لذلك , ربما ستغضب

سيرا فينا منك ، أنت تعرف كم هي متعلقة به
! "

" نعم ، والمؤسف جدا أن هذا التعلق لم يكن
لصالحه ، ثم.....لماذا قلت أنه لا مبرر
لتأديبه بالطريقة التي يستحقها؟".

إبتسمت دوناً رغماً عنها وقالت :

" وجهت إليه ضربة قوية جدا بركبتي
، وأتصور ، من صرخة الألم التي أطلقها ،
أنني أصبت الهدف".

رد ريك رأسه الى الورااء وضحك بصوت

مرتفع , قائلا:

" رائعة ! ستضعه هذه الضربة في مكانه

الصحيح ولو لفترة !".

عادت الجديّة الى ملامحه , فأمسك بوجهها

وقال لها بحنان :

" ستبقين , أليس كذلك؟".

" يفترض بي ألا أبقى يا ريك , لو كانت لدي

ذرة عقل واحد , لجمعت أغراضي اليوم

وغادرت الفيلا قبل أن يحدث شيء آخر ,

ماذا يحدث لو ضبطنا معا على ذها الشكل

..... وأنت في غرفة نومي؟".

تنهد بقوة ثم أنزلها الى الأرض بهدوء وحنان ,

تأمل غرفتها بإعجاب , نظرا للبساطة الجميلة

في أثاثها , وقال :

" إنها غرفة جميلة ومريحة وهادئة , وليست

عابقة برائحة العطور المزعجة".

" فقط برائحة الخيول , تظل هاتان الغرفتان

على الأسطبل".

" ألا يزعجك ذلك؟".

" أبدا , أحب رائحة الخيول وأصوات

حواقرها".

" يجب أن نقوم معا بنزهة على ظهور الخيل ,

لدينا هنا مجموعة رائعة".

جمعت دونا القطع الممزقة وضمتها الى

صدرها , وهي تحاول الظهور بأن الأمر

عادي جدا , ولكنها شعرت بأن ريك يقاوم

عواطفه بعنف بالغ..... وتمنت في لحظة

مجنونة أن تكون عواطفه أقوى من ضميره.

" لأجلك أنت يا دونا , سأمتنع عن تحطيم
فك أدوبي... مع أنني أحب كثيرا القيام
بذلك , كلما أسرع في الزواج من تلك الفتاة
, كان ذلك أفضل له , سيتم الزوج من دون
أي تأخير , مع أنني أشعر بالأسف الشديد
أ تجاه الفتاة !".

سار نحو الباب ثم وقف عنده ووجه إليها

ابتسامة خفيفة , قائلاً:

" حتى نلتقي مرة ثانية !".

هزّت له برأسها موافقة , فحيّاها وغادر
الغرفة ثم أغلق الباب وراءه , خلعت ثيابها
الممزقة وأرتدت عباءة جميلة , ثم وضعت
دواء على شفثها وبدأت تسرح شعرها ,
أستلقت بعد قليل على سريرها منهكة ,
تؤلّمها شفثها والرضوض التي سببها لها أدوني
, ولكن الألم الداخلي كان أقوى وأشد
..... وأكثر صعوبة على التحمل.
وافقت على البقاء وهي تعرف أن القرار
صعب للغاية , أنه بيت تظللّه أحداث

الماضي , ومحاولة سيرافينا الأنتحار لمعاقبة
ريك على مطالبته بالحرية لأدارة ناديه في روما
, كيف سيكون رد فعلها أذن إذا ضبطته مرة
يعانق سكرتيرتها ؟ لقد تمكّن حتى الآن من
ممارسة ضبط النفس والسيطرة على عواطفه
ومشاعره , ولكن دوننا تعرف أنه في كل مرة
يضمها اليه يقترب أكثر فأكثر من التخلي
عن تلك السيطرة , وأبتسمت بشيء من
الأرتياح لأن رجلا قويا كهذا يريدتها الى هذه
الدرجة.

ولكن أبتسامتها أختفت بصورة تدريجية ,
لأنه لم يكن لديها عوضا عن مشاعرها سوى
الوحدة الموحشة القاتلة التي لا تفهم الفتاة
معناها الحقيقي إلا عندما تلتقي رجلا يعني لها
كل شيء في حياتها رجلا مثل ريك
تجد في لمساته وكلماته سحرا وجاذبية لم
تجدهما أبدا في أي رجل آخر , تأملت
..... وبكت..... ونامت , وعندما
أستيقظت , وجدت الطعام قريبا
وعلمت بأرتياح وسرور أن ريك أراد لها أن

تتناول طعامها بحدوء بعيدا عن الضجيج
ونظرات الأستفسار , وفي وقت لاحق من
ذلك اليوم , دس لها تحت باب غرفتها ورقة
أرتجف جسمها بأرتياح عندما قرأتها.
قال لها ريك في تلك الورقة أن أدوني أرسل
للأقامة مع أهل خطيبته.....لأن أيزابيتا
ستصبح قريبا في الثامنة عشرة من عمرها ,
ولأن الوقت حان كي يتعرف الخطيبان على
بعضهما , تنهّدت بأرتياح , مع أنها شعرت
بالأسف أتجاه تلك الفتاة اتي وافق أهلها على

زواجهما من شخص غريب عنها ولم تشاهده
سوى مرة واحدة في حياتها , وتساءلت دونا
عما إذا كان هناك أمل حقيقي في أن يستقر
أدوني ويعيش مع تلك الفتاة كزوج مخلص ,
وتمنت ذلك , حفاظا على كرامة الفتاة
ومشاعرها.

ومرت الأيام القليلة التالية بصورة شبه عادية
, وكانت دونا تتمنى طوال الوقت أن يدس
ريك ورقة أخرى تحت باب غرفتها يقول لها

فيها أن عليها موافاته في موعد معين الى بيته
الصغير المخبأ السري , ولكنه لم يفعل ,
وبدا وكأنه قيّد أحاسيسه ورغباته بالحديد ...
وأنه لن يضع يده عليها ثانية.

لا أشعر اليوم بأي رغبة في العمل , هيا
أذهبي وتمتعي بوقتك , يا دونا , أخبرني ريك
أنك تركبين الخيل بطريقة جيدة , هيا ,
أختاري حصانا وأذهبي في نزهة طويلة".
" ولكننا لا نشتغل كثيرا هذه الأيام , أنا
أتيت الى هنا لأعمل و.....".

" هل تشعرين بالملل يا دونا ؟ أنت تقبضين
أجرك الجيد يا عزيزتي , بغضّ النظر عمّا إذا
أشتغلت أم لا , وربما يقول البعض إنك
محظوظة جدا للعمل معي".

" أنا ممتنة , ولكن.....".

" ولكن ماذا يا عزيزتي ؟ هل هناك شلب
بريطاني ينتظرك بفارغ الصبر , أم أنّ هناك
سببا آخر للتعجيل بأنهاء مذكراتي ؟ هل هناك
شخص لا يعجبك , أم أنّ هناك شخصا
يعجبك أكثر من اللزوم ؟ هل يعجبك مثلا

أحد الرجال العاملين هنا ؟ هل يضايقك

كثيرا أم أنه لا يشعر بوجودك على

الأطلاق؟".

" أشعر بالذنب لأنني أقبض أجرا على عمل

لا أقوم به , أنا سكرتيرة , ولست ضيفة في

هذه الفيلا".

" يجب أن تفرحي عندما أعاملك كضيفة ,

هناك أوقات تذهليني فيها أيتها الفتاة

البريطانية , هل يخفي صقيعك نارا وراءه , يا

تري ؟".

ركبت دوننا الحصان سنتوربوني الذي أختاره
ريك لها خصيصا ، وتوجهت الى الوادي ،
كان العمال يحيونها ، ويقدمون لها الفاكهة ،
فتقبل منهم بعضها شاكرة وتواصل طريقها ،
وكانت قد صادفت أثناء نزهتها السابقة
بعض العاملات في تلك الحقول الغنية ،
ودعتها إحدى العاملات ، أسونتا ، الى حفل
زواجها..... فقبلت دوننا بسرور لأنها
متشوقة لحضور حفل زفاف أيطالي تقليدي.

سألت سيرافينا صباح اليوم التالي إذا كان بإمكانها حضور العرس , فأجابتها السيدة بأنّ الشبان هنا سيعتبرون مجيئها وحيدة دليلاً على أستعدادها لأي شيء , وأضافت:

" الأفضل أن تذهبي بصحبة ريك".

ذهلت دوناً ولم تصدّق ما سمعته أذناها , ضحكت سيرافينا عندما شاهدت ملامح الأستغراب والدهشة على وجهها وسألتها

بهدوء:

" ألا تعجبك صحبته؟".

" طبعاً ! ولماذا أعترض؟".

" ولماذا أذن يبدو عليك مثل هذا الدهول؟".

" وهل يقبل هو بمرافقتي لحضور عرس

قروي؟".

" سيقبل بالتأكيد عندما أطلب منه ذلك ,

أنه يحب هذه الأفراح والعادات القديمة لأنها

تذكره كثيرا بصقلية , سيبعد عنك الشبان

المزعجين أنت لست من النوع الذي

يحب المضايقات أليس كذلك؟".

هزّت رأسها ثم أستاذنتها بالعودة الى عملها ,
وهي تكاد تطير فرحا لأنها ستمضي وقتا
طويلا وممتعا مع ريك , وأثناء العشاء , قالت
لها سيرافينا :

" بالمناسبة , إقترحت على ريك أن يرافقك
الى عرس القرية..... ووافق على ذلك".
وجّهت دوننا كلمة شكر وحيدة دون أن تنظر
الى ريك , كانت تشعر بأنه يغازلها بنظراته
..... أليس في ذلك خينة لسيرافينا ؟ قالت
لنفسها بتحد أنها غير متضايقة من ذلك

أطلاقا , أنها لا تراه إلا نادرا , فلماذا لا يحق
له على الأقل أن يداعبها ويغازلها بنظراته ؟
وسمعت سيرا فينا تقول له :

" أظهر لدونا قليلا من الحماسة , يا عزيزي ,
وإلا أشعرتها بأنك ستأخذها رغما عنك ."

" صدقيني , يا آنسة , إنه سيكون من

دواعي سروري وأعتزلي أن أرافقك الى

الحفلة , سوف يحسدني جميع الرجال والشبان

هناك , لأنك ستكونين كوردة بيضاء بين

مجموعة الأزهار البرية ."

ضحكت سيرا فينا وقاطعته قائلة بلهجة ظهر

فيها بعض الأستياء :

" أوه , لا تتمادى كثيرا ! إنك تجعل وجهها

يحمّر خجلا بهذا الأطرء الصقلي , وردة

بيضاء حقا ! أهكذا تعتبرها أيها العزيز ؟".

" أنها بريئة وطاهرة , أليس كذلك ؟".

جلس أمام البيانو وبدأ يعزف بهدوء , ثم

أضاف قائلا:

" أتذكر صقلية هذه الليلة.... وبعض

أغانيتها التي علّمتني أمي عزفها على بيانو

أحضرتة خصيصا من روما , تدمّر أبي بضعة
أيام من ثمنه وتكاليف شحنه , ولكنها
ضحكت وقالت أنها تريده لولديها
....."

صمت فجأة وبدأ يعزف لنا جميلا شعرت
معه دونا برغبة قوية للرقص , أما سيرافينا ,
فكانت مستلقية بلا حراك على كنبه وتحمل
بيدها كوبا من عصير التفاح , وفجأة , وقع
الكوب من يدها وراقت محتوياته على فستانها
الحريري , هبت دونا من مكانها وأسرعت

نحوها بهدف مساعدتها , تأثرت عندما
شاهدت الدموع تتجمّع في عينيها الخضراوين
الجميلتين , والضياع والذهول يظهران
بوضوح على وجهها.

" هل يمكني مساعدتك بشيء؟ "

أحسّت بيد ريك تضغط برفق على كتفها ,
وقفت جانبا , فيما أنحنى قرب سيرافينا
ورفعها بيديها وأوقفها قائلا:
" تعالي , لا حاجة للبكاء "

راقبته دوناً وهو يأخذ سيرافينا الباكية من
تلك الغرفة ، شعرت بحيرة كبيرة ، فمن المؤكد
أن امرأة ناضجة مثل سيرافينا لا تبكي عندما
تريق العصير على فستانها... مهما كان
افستان ثميناً وعزيزاً على قلبها ! هل بكت
سيرافينا تأثراً عندما عزف ريك مقطوعة
يتذكّرها منذ أيام طفولته ؟ هل لأنها تعرف
عن المأساة في حياته أكثر من أي شخص
آخر ؟ أم هو سبب معاملته لها قبل لحظات
بمثل تلك الرقة والنعومة والحنان ، وكأنها

طفلة صغيرة شعرت بحزن كبير لأنها لوّثت

ثوبها وأفسدته نهائياً؟

خرجت دونا الى الشرفة , حيث كان نسيم

الليل عابقا برائحة زهر الليمون والورود

الجميلة على أنواعها , تأملت السماء

الصافية وآلاف النجوم التي تسطع فيها ,

وراحت تلاحق تلك الطيور الكبيرة التي تحلق

في الفضاء بأجنحتها القوية الجميلة , شعرت

بأنقباض غريب , وتأثر كبير للرقعة التي

أظهرها ريك عندما أخذ سيرافينا الى خارج

الغرفة , كان يطوّق خصرها بذراعه ويضع
رأسها على كتفه..... وكانت بينهما ذكريات
مشتركة لا يمكن لها هي أن تتدخل فيها أو أن
تصبح جزءا منها.

أسندت رأسها بهدوء الى الحائط , فيما
ترددت في تفكيرها وفي قلبها أنغام تلك
المقطوعة الموسيقية الجميلة التي عزفها ريك
قبل قليل , أحست بالتأكيد أنه لن يمكنها
أبدا أن تقدم طوعا على أحداث شرح بين
ريك وتلك الممثلة اللامعة المزاجية التي هي

جزء من حياته منذ زمن طويل , شعرت أن
بينهما مودة دافئة وعلاقة حميمة ستبقياها
خارجا وبعيدا , لم تعد تشعر بالدفء
والحرارة لأن ريك يحبها ويريدها.

أحنت دوناً رأسها وهي غارقة في التفكير
والتحليل , ربما كان من الأفضل ألا تذهب
مع ريك الى عرس أسونتا , حيث سيكون
الجو مشبعاً بالحب والغرام والربط بين
قلبين الى الأبد , شمت رائحة التبغ قبل

وصول ريك الى جانبها , فأستدارت نحوه

وسألته بأهتمام صادق :

" كيف حالها الآن ؟ هل هي على ما يرام؟"

" نعم , أخذت الحبوب المهدئة للأعصاب

وذهبت الى سريرها , أنها تواجه حاليا مثل

هذه الحالات المزعجة , لأنها تقاعدت منذ

بعض الوقت ولم يعد لديها شيء آخر تفعله

, ولهذا السبب بالذات أقترحت عليها كتابة

مذكراتها عن حياتها في السينما".

" هل أنت أقترحت ذلك , يا ريك؟".

" لما لا ؟ كانت فنانة رائعة وكانت من
جوانب عدّة نوعا نادرا من النساء وشجاعة
أكثر بكثير مما تتصورين , يجب أن يتمتع
الأنسان بأكثر من الجمال والجاذبية ليضع
نفسه في قلوب الناس وعقولهم , ظلت
سيرافينا , النجمة اللامعة والفنانة القديرة ,
تترجع على عرش هوليوود لفترة طويلة لم
يشهد لها عالم السينما مثيلا , أما الآن , فلم
يعد لديها أي متنفس آخر لعاطفتها الجياشة
وأنفعالاتها الحادة.

" لديها أنت , يا ريك ."

" هذا صحيح , يا دونا , ولكنني أعتقد أنها

تدرك تماما وجود بعض الفراغ في العلاقة

القائمة بيننا , أنني أعطيها من نفسي قدر

أستطاعتي , ولكن ثمة أجزاء مني لا يمكنني

أن أعطيها أياها , أتمنى من صميم

قلبي.....".

توقف فجأة وشعرت دونا أنه أبعد نظره عن

النجوم وأخذ ينظر اليها بشكل جانبي ,

توترت أعصابها وتمنت ألا يضع يده عليها !
إنها متضايقه جدا , وقد تركض بعيدا عنه إذا
حاول لمسها أو أن ترمي نفسها عليه
وتجده أقل مناعة هذه الليلة من أي وقت
مضى , شعرت بأنه يأس مثلها ولكن
كرامتها لا تسمح لها بأظهار عواطفها له هذه
الليلة مجرد أن سيرافينا أخذت حبة مهدئة
للأعصاب وتغط في نوم عميق , ليس من
الخطأ أبدا أن تكون معه وأن تحبه
ويحبها , ولكنها شعرت بأنها لن تتمكن من

ذلك..... مخافة أن تفسد تلك العلاقة

الرومنطيقية والجميلة معه.

حدّقت مرة أخرى بنجوم الليل البرّاقة.....

صافية , رائعة , ويستحيل جرّها الى الأوحال

, هكذا تريد حبها أن يكون بعيدا عن

متناول يدها , ولكنه ثابت وأكيد مثل هذه

النجوم , عندما أدركت دونا ذلك , شعرت

بأنها أصبحت الليلة أكثر نضوجا ورشدا

..... وبأن حبها موجود في قلبها أكثر من

أي مكان آخر.

أطلقت تنهيدة خفيفة..... أنها تحبه حبا
حقيقيا , وليست بحاجة لأثبات عواطفها كي
تشعر بوجود هذا الحب , بإمكانها أن تنظر
الى ريك كما تنظر الى النجوم , وهذا هو
أجمل شعور في حياتها.

" لماذا تتنهدين؟ "

" أنها ليلة رائعة كل ما فيها له معنى
وهدف , حتى أصغر الحشرات التي تتنقل
بسرعة بين هذه الورود "

" كنت أتصوّر أنك ستشعرين بالحزن "

" لا , أبدا , أعتقد أنني غضبت فجأة يا
ريك , حدث ذلك بدون أن أشعر بتلك
التفاهات السخيفة التي تتحدث عنها
المجلات والقصص , يضج قلبي حياة وأدراكا
.... أنني جزء منك , دون أن تضطر لوضع
يدك علي".

" أوه , دوننا.....".

" لا , لا تلمسني ! هكذا يجب أن يكون
الوضع بيننا كي أتمكن من تحمّله , أنها العفة

والطهارة في الحب , وأؤكد لك بأنني أجدها

لذيذة وممتعة".

" لدينا النجوم , فلنترك القمر وحده

أليس كذلك؟".

" هل شاهدت ذلك الفيلم أيضا ؟ أذكر تماما

أنه أبكاني , ولكنني لم أصدق آنذاك أن

شخصين يجبان بعضهما كثيرا ويتمكنان مع

ذلك من الأفتراق , ولكن الأمر ممكن ,

أليس كذلك؟".

" إذا كان الشخصان مضطرين بذلك ,
سأخذك غدا الى العرس القروي , إذا كان
بإمكانك القيام بتضحية أخرى , أوكد لك
بأن سيرافينا لن تمنع بذلك , لأنها ستكون
على ما يرام".

" هل أنت متأكد من ذلك يا ريك؟".

" طبعا يجب ألا تغادري إيطاليا قبل حضورك
زواجا إيطاليا تقليديا , إنه أحتفال جميل من
جميع جوانبه... دافىء , بسيط , وغير معقد
, يجب أن يكون الحب هكذا مثل

الفاكهة التي تنضج في موسمها , والمطر الذي
يهطل على الأرض العطشى , أنها العملية
الطبيعية , وليست المصطنعة المبنية على
فكرة سخيفة تقول , أن الرجل والمرأة
متساويان , رباه , هل سمعت قبل برجل يلد
طفلا ؟ أو امرأة تصمم وتبني بارجة حربية ؟
خلقنا لكي نكون مختلفين عن بعضنا
لكل منا أهميته وصفاته المميزة , ويكمل
بعض منا البعض الآخر , هنا يكمن الغموض
, ومن هنا تتبع الأثارة.

أطلقت دوناً ضحكة خفيفة وقالت :

" أوه ، ريك ، أنك متعصب جداً للرجال
!"

" أنك لا تأخذين كلامي على محمل الجدّ ،
ربما تجدين أفكارى قديمة العهد ، متصلبة
وبعيدة عن العادات الحديثة في الحب والحياة
!"

" لا ، يا ريك ، أني معجبة بأفكارك ، أنها
الأفكار المنطقية للرجل الحقيقي ، ولا أظنك
أبداً من الرجال الذين يريدون النساء قرب

أقدامهم يخلعون لهم أحذيتهم ويقبلون

أقدامهم".

" يحمل الجزء الأخير من كلماتك سخرية

لاذعة".

" ريك!".

" ألم يكن الأمر كذلك ؟ هيا لندخل!".

" دعنا نبق هنا قليلا نتمتع بهذه النجوم , أوه

يا لها من ليلة يا لها من ليلة رائعة!".

" من تعرفين غيري رجلا حقيقيا , يا دونا؟".

" أبي طبعاً , كانت تقوم بيننا علاقة وثيقة
جداً , لأنه فقد زوجته وأنا فقدت أمي ,
كنت صغيرة جداً وبحاجة ماسة لحب
الوالدين معاً , أنت وأنا نشبه بعضنا إلى حد
ما في هذا المجال , يا ريك".
" صحيح , لدينا أشياء كثيرة متشابهة أيتها
الحبيبة , أننا ننظر معاً إلى النجوم ونعرف أنها
عيون الجنة , بيننا أنجذاب وصلة
روحية.....".

ألتقطت دونا أنفاسها عندما وضع ريك
ذراعه حول خصرها , كانت تعتقد أن هناك
أنجذابا بينه وبين سيرافينا , ولكن , هل هذا
صحيح حقا . هل يكون معها قادرا على
الأرتياح , يتصرف بصورة طبيعية ويقول
كلمات ذات معان عميقة تستمع اليها
بانتباه مماثل ؟ نظرت اليه فشاهدته يتأمل
النجوم ويفكر هل يفكر بالشيء ذاته يا ترى
هل يفكر بأنه أمضى معظم حياته يعشق

جمال سيرافينا دون أن تكون بينهما أي صلة

روحية؟

" نعم يا عزيزتي , يوجد بيننا أنجذاب وصلة
روحية , عرفنا هذا الأمر تلك الليلة في روما
..... عندما رقصنا معا وكان وجهانا مقنعين
, ولكن قلبينا لم يكونا كذلك".

" يا للغرابة ! لم أشعر طوال حياتي بسعادة
تضاهي سعادتني الآن , يا ريك , أنني مسرورة
جدا لأننا ألتقينا , وسعيدة أكثر لأنني لن
أمضي حياتي دون التعرف الى رجل لديه

كافة المواصفات التي حدّدتها لفارس

أحلامي".

" قد يتسم الكثيرون لدى سماعهم مثل هذه الكلمات , يقولون عني أنني رجل قاس جدا لم تعرف الرحمة سبيلا الى قلبه , قتلت رجلا في حياتي , يا دونا , مع أن المحكمة وجدت لي مبررات كافية لأطلاق سراحي , أحمل مسدسا لأحمي ممثلة متقاعدة , وقد أضطر أستخدامه دفاعا عنها... أو عن النفس , فأين الفروسية في كل هذا؟".

" أعرف أنّها متّصلة فيك ولا يهمني ماذا

يقول الناس أو يفكرون".

ضمّها الى صدره بسرعة وغرقا معا في عناق
طويل , وفجأة سمعا صوتا ينادي ريك , جمدا

في مكانهما , وكل منهما يطوق الآخر

بذراعيه , ومع أنّه لم يتركها إلا أنّه ارتعش

قليلا قبل أن يستدير نحو مصدر الصوت ,

حاول جاهدا أخفاء دونا وراءه وهو يسأل

بشيء من الحدة:

" ماذا في الأمر ؟ ماذا تريد مني الآن؟".

كان صوته قاسيا بعض الشيء ونبرته عصبية
الى حد كبير كأنه رجل أبعد عنوة عن
دفع حلم جميل .

9- سقوط القناع

لاحظت دونا أن الرجل هو أحد العاملين في
الأسطبل ، ولكنها لم تفهم شيئا من كلامه
لأنها كانت تقف بذهول وتوتر أعصاب
شديدين ، ردّ عليه بسرعة مماثلة ، ثم
أستدار نحوها وقال لها أن فرسه المفضلة
كونتيسا على وشك أن تلد ، أقترح عليها أن

تذهب الى فراشها لأنه مضطر لمساعدة

العمال , وأضاف مزامحا:

" ولدت لأب مزارع , كما تعرفين , مهاراتي

متعددة".

بدا الحماس على وجه دوننا لأنها تحب

كونتيسا وكثيرا ما دلتها بمحبة وأعجاب ,

وقالت له بلهفة :

" هل يمكنني تقديم المساعدة ؟ أعدك بأنني

لن أعيق عملك".

بدا عليه التردد لحظة ثم سألها:

" هل راقبت قبلا مثل هذه العملية ؟

كونتيسا فرس أصيلة , وسيكون هذا أول
مهر لها , هل أنت متأكدة من أنك تريدين
الحضور ؟ ليس في الأمر ما يفرع أو يقرز
النفس ولكنك.....".

أبتسمت له بدورها وقالت:

" أعرف ماذا تعني , أنا فتاة عذراء لا أعرف
كثيرا عن حقائق الحياة, أليس كذلك؟".

هز كتفيه وقال :

" ليس ذلك ما أعنيه تماما , ولكنك لست فتاة قروية , وقد تشعرين بشيء من الضيق والأنقباض , فالفرس كالأمرأة تتألم في مثل هذه الأوقات ولا تظل هادئة ساكنة , وهو أمر طبيعي للغاية , إلا أنك قد تواجهين بعض الصعوبة في تحمّله".

وضعت يدها على ذراعه وقالت له بحنان
واضح:

" دعني أكن معك يا ريك , فالوقت يمر بسرعة , وأعرف أنك تعتبر موضوع المهر

الجديد أمرا له أهمية خاصة بالنسبة اليك ,

دعني أشاركك هذه اللحظات الهامة".

"عظيم , ولكن إذا قررت أن تفقدي وعيك

, فأرجو أن تفعلي ذلك على كومة من

القش".

ضحكت مع أنها كانت تعرف تماما أن

المسألة لن تكون سهلة , وقالت:

"شكرا لك , يا ريك لأنك تتصرف على

حقيقتك بدون تمثيل ومواربة , وشكرا لك

لأنك لا تعاملني كطفلة".

وضع يده برفق على شعرها وقال :

" أنت امرأة , يا دونا , هيا بنا , يجب ألاّ
نتأخر !".

لم تكن الولادة سهلة , ولكن الألم الوحيد
الذي حزّ في قلب دونا كان عندما رفعت
الفرس رجلها بقوة وأصابت بأحد حوافرها
الجزء الأعلى من ذراع ريك اليسرى ,
تماسكت دونا بعصبية كي تمنع صرختها
عندما شاهدت الدماء تسيل من جرحه.
" أمسكي برأسها".

أطاعته دوناً بدون تردد لأن الفرس كانت
تتجاوب معها وتهدأ قليلاً كلما ربتت برقة
على جسمها البني الذي ينضح عرقاً , كانت
تتألم كثيراً في المراحل الأخيرة , وتبدو وكأنها
تنظر الى دوناً طلباً للمساعدة , وفجأة
سمعت ريك يتنفس الصعداء ويقول
لكونتيسا:

" أيتها الفرس الجميلة الرائعة !".

أخذ قطعة من القماش وجفف جسم المهر
الصغير , فيما كانت الأم تحرك رأسها بأعزاز

وسرور بمجرد أن شمّت رائحة صغيرها , حمل

ريك المهر الجميل ووضعته برفق أمام أمه

قائلا:

" ها هو , أيتها الحبيبة , يمكنك الآن تقبيله

ومداعبته".

تحركت الفرس بأرتياح ظاهر وبدأ لسانها

الطويل على الفور مهمته في تنظيف المهر

ومداعبته , راقبتهما دونتا بتأثر لم تشعر معه

بأن الدموع تترقق من عينيها , وعندما

أستدارت نحو ريك , شاهدته يغسل وجهه

ويديه , تألمت عندما شاهدت الدم يسيل من
جرحه , ألتفتت ريك نحو مساعده , وقال :
" أنتبه اليها يا تشيكو , أعتقد أنها ستكون
بخير , لأن الوقت مناسب , أنه مهر جميل
للغاية , ومن يدري , فقد يصبح حصان
سباق بهذه الأرجل الطويلة القوية".
أبتسم تشيكو بسرور وأعتزاز ثم نظر نحو دونا
وتحدّث ببطء كي تفهمه:
أعصاب الأنسة قوية جدا".

شكرته دوناً على كلمات الأَطراء والثناء ,
ولكنّها لم تكن متأكّدة مدى تحمل أعصابها
لمنظر الدماء التي تسيل من ذراع ريك ,
نظرت الى حبيبها , وقالت:
" يجب معالجة جرحك , يا ريك."
" لاحقاً , لاحقاً , أولاً يجب أن نطلق أسماً
جميلاً على هذا المهر الرائع , هل تحبين
أختيار الأسم المناسب له يا دوناً؟"
" هل يمكنني ذلك؟".

أتسعت عيناها سرورا وهي تنظر الى عينيه ,
اللتين كانتا تحملان في أعماقهما سعادة لما
قاما به معا , وشعرت دونا بأنها دخلت الليلة
الى قلبه الدافئ الحنون , الذي تخفيه قساوته
الظاهرية عن معظم الناس .

" سأكون سعيدا للغاية لو قبلت بأن تطلقني
عليه الأسم المناسب , هل تريدان وقتا
للتفكير بالأسم المطلوب؟"
لا , هل يمكنني تسميته دومينو؟"

خيم الصمت لفترة وجيزة شاهدت خلالها
توترا خفيفا في ملامح ريك , مدّ يده نحوها
وكأنه يريد ملامستها , إلا أنه أعادها بسرعة
الى جانبه وأحنى رأسه قليلا , أحست دوننا
أنه يتذكّر تلك الليلة في روما عندما رقصا
معا في قاعة دومينو , لم تعرف آنذاك أنه
مرتبط بامرأة أخرى , أو ما إذا كانت
ستواصل طريقها الى فيللا أمبراطوري لو
علمت أن سيرافينا نيري هي تلك المرأة.
" دومينو أسم جميل ومناسب تماما".

قال جملته هذه ثم تقدّم من الفرس وداعب

رأسها الجميل قائلاً:

" هل سمعت يا عزيزتي ؟ سيحمل مهرك أسم

(ذكرى) , وهذه هي إحدى أفضل

التسميات ."

عادت دموع دونا الى عينيها.... ستحتفظ

ذاكرتها بأحداث هذه الليلة الى الأبد , لأنها

لا يمكن أن تحب ريك أكثر مما تحبه الآن ,

ألقت اليه وقالت له بصوت غلب عليه

التأثر.

" يجب أن نعالج هذا الجرح على الفور ، أنه
ينزف بقوة".

هز رأسه وقال بضع كلمات لتشيكو ثم
توجهها معا الى البيت ، كان هواء الليل منعشا
، والنجوم صافية ومنيرة ، والسكون يعم
المنطقة ، ولما دخلا القاعة ، خلع سترته وقال
لها :

" هيا ، أذهبي بسرعة الى فراشك ، أنت
متعبة وعيناك شبه مغمضتين ، وأنا قادر تماما
على لف قطعة قماش حول ذراعي".

" هل تعتقد فعلا أنني سأسمح لك بذلك ,
دون أن أعتني بالجرح بطريقة مناسبة ؟ أنك
تستحق أكثر من مجرد قطعة قماش , بعد
العمل الرائع الذي قمت به الليلة".
" أنها ليست المرة الأولى التي أساعد فيها
حيوانا صغيرا على المجيء الى هذا العالم , ولم
تكون الأخيرة , دومينو , أيه ! أنني مسرور
جدا لأختيارك هذا الأسم , لأنني عندما
سأنظر اليه بعد أن يصبح حصانا قويا رائعا

سوف أتذكر شابة أعطت لحياتي قيمة خاصة
ولو لفترة وجيزة من الزمن".

"كانت هذه الليلة ذات أهمية بالغة في حياتي
يا ريك , لن أنساها أبدا , وأشكرك كثيرا
لسماحك لي بمشاهدة أطلالة دومينو على
هذا العالم".

"الحياة , الولادة , الأمومة كلُّها أمور
تحمل في معانيها جمالا لا يضاهي وأهمية لا
تقارن , كنت عظيمة مع كونتيسا , هادئة
ورقيقة , الحيوانات مخلوقات تحب العطف

والحنان , وليس جميع الناس أذكاء أو

حكماء بما فيه الكفاية لمعرفة ذلك".

شاهدت الشعلة الصغيرة في عينيه , فمارست

أقصى درجات ضبط النفس كيلا تقترب منه

وترتمي بين ذراعيه , أحست بأنه يريد لها بقدر

ما تريده , لم تحلم أبدا في حياتها بمثل هذا

الشعور الفيّاض.

" أعرف يا حبيبي , أعرف ماذا يجري بيننا ,

وأعرف أيضا أنّ النتيجة الطبيعية لذلك هي

أن أحملك بين ذراعي وأطير بك الى عالمي".

تنهّد بقوة وكأن خفقان قلبه المتوتر يمنعه من
التنفس بسهولة , مدّ ذراعه نحوها فانتبهت
مرة أخرى الى الدم وقالت بلهفة:
" دعني أهتم بذراعك... دعني أفعل ذلك
على الأقل !".

" حسنا , أوه , من كان يظن أن مثل هذه
الكمية الكبيرة من الدم تجري في عروق رجل
طاعن في السن مثلي؟".

" أنك لست طاعنا في السن , يا ريك".

" أني أكبرك بسنوات عديدة , أيتها الحبيبة

"

صعدا الدرج جنبا الى جنب , وعندما وصلا

الى الممر أستدارت دوناً نحو شقتها وهي

تقول:

" يوجد في غرفتي حوض لغسل الوجه

واليدين , بالأضافة الى مطهر يمنع حدوث

الالتهاب".

" غرفتك؟ لست عجوزا الى هذه الدرجة , يا

حبيبتي".

فتحت دوننا باب غرفتها وهي تتظاهر بأن
الأمر طبيعي للغاية , إلا أنها لم تجرؤ على
النظر الى عينيه , أشعلت المصاييح
الصغيرة..... وخفق قلبها بعنف عندما
خل ريك وأغلق الباب وراءه أنهما الآن معا ,
وعلى أنفراد تام , في غرفة نومها , سار
بهدوء نحو المقعد الجلدي قرب سريرها
وجلس عليه , لم يقل شيئا وهي تبلل قطعة
قماش نظيفة وتحضر ما يلزم لتضميد الجرح ,

قالت له بصوت حاولت جاهدة أن يظهر

وكأنه طبيعي وعادي جدا :

" الأفضل أن تخلع قميصك , يا ريك ,

سوف أغسلها لك".

" كما تقولين , أيتها الممرضة".

سمعتة يضحك بهدوءوعندما

أستدارت نحوه , كان يخلع قميصه ويكشف

صدره القري وكتفيه العريضتين , خف النزف

من جرحه العميق , ألا أن منظره كان مفرعا

, بدأت تضمّد الجرح بعناية بالغة , ولكنها

كانت تشعر طوال الوقت بأنه ينظر الى

شعرها ووجهها , ثم سمعته يقول :

" كان من الأصح أن تكوني ممرضة , لمستك

قوية وحازمة ولكنها أيضا رقيقة وناعمة".

" الجرح عميق جدا , يا ريك , وآمل في ألا

تتعرض للألتهاب و.....".

" لا تخافي , فجسمي صلب كالصخر , أنني

أشكر الظروف لأن حافر كونتيسا لم يضرب

جسمك الرقيق الناعم".

لم تتمكن دوننا من أخفاء ذلك الأرتعاش
الخفيف الذي حلّ بجسمها , عندما سمعته
يقول تلك الكلمات وشعرت كأنه يداعبها
بيديه.

ألتقت العيون فجأة وأشتعلت الشرارة كالنار
في المهشيم.

" رباه , كم أتألم ! أني أريدك , يا دوننا ! رباه
, كم أريدك !".

سيطرت على أعصابها بصعوبة بالغة , وقالت
له بتلعثم واضح :

" يمكنني أن أعد أبريقا من

القهوة , أنني أنني أشعر بعطش

شديد , هل... تريد فنجانا من القهوة يا

ريك؟".

هزّ رأسه موافقا , فيما كانت تنهي تضميد

جرحه وتضيف قائلة:

" ها قد أنتهينا , كيف تشعر الآن ؟".

تأملته في وضعه الحالي , فشعرت بأنها ستنتهار

أمامه , كان عاري الصدر , وذا شعر أسود

كثيف , ويحمل في أذنه ذلك الخاتم الصغير

الذي كان يلمع تحت ضوء المصابيح , وتعلو
وجهه الوسيم القاسي نظرات تحبها وتخاف
منها .

" أنك تبدو كأحد قراصنة صقلية القدماء! ".
" وأشعر كقرصان , لن يكون صعبا عليّ أبدا
أن أتخلي عن طبيعتي الطيبة في هذه
اللحظات بالذات , وأبجر الى لعنات المجهول
, يقولون أنها آلام ونار , ولكنها ستكون لي
بردا وهناء..... أوه , لا , لا! ".

أبعد وجهه عنها وهو يصرخ بصوت جريح
معدّب , ثم أضاف قائلاً بحدة :
" أني مقيد , ولا سبيل لنا لأن نكون معا
بالطريقة التي تستحقين أن تكوني بها مع
الرجل كتلك الفتاة أستونيا , التي
ستقف مع خطيها الشاب أمام الكاهن
وترتبط معه شرعا مدى الحياة , هكذا فقط
يجب أن تفعلي , يا حبيبي الطيبة! ".
مقيّد ! وضعت القميص الملوثة في الماء
ونظفت المكان بسرعة , ثم قالت له:

" يبدو أننا بحاجة ماسة للقهوة , هل تبقى هنا
 , يا ريك , أم آخذها لك الى غرفتك ؟ "
 " ليس الى غرفتي . "

تأملت دونا , فعرفته محرمة عليها لأنه بإمكان
سيرافينا أن تدخلها أو تخرج منها ساعة تشاء
..... نهارا أو ليلا , قالت له أنها ستعود

سريعا , ثم توجهت فورا الى المطبخ لتعد
القهوة لهما وبعض الطعام له , وعندما عادت
بعد قليل , شاهدته ممددا على سريرها ويغط
في نوم عميق , أبتسمت قليلا لأنه ليس من

الأنصاف إيقاظه الآن ليشرّب فنجانا من
قهوتها , كذلك أرادت أن تحتفظ به لنفسها
فترة أطول , ما دام أنّ وجوده معها على
هذه الحالة لا يضر أحدا , تأملته مليا
وفهمت مدى الصعوبة التي ستواجهها أي
أمرأة للتخلي عنه.

شعرت برغبة جامحة لكي تدفن وجهها في
صدره تنام قربه , بما أن هذا اللقاء العاطفي
لن يدوم أكثر من هذه الليلة , غمره الأرتياح
في غرفتها وجعله يستسلم الى نوم عميق دون

أي تردد أو خوف , أدركت دوننا أهمية ذلك
 , وأحست بأنها امرأة بما فيه الكفاية لترفض
القبول بوضعها الحالي..... مجرد أستراحة في
حياته وأنسانة ضعيفة مضطرة للتخلي عنه
لأمرأة لأمرأة أخرى , مدّت يدها لتوقظه
..... ولكنها إذا فعلت ذلك , فإنه سيشرب
قهوته ويتركها مع وحدتها مرة أخرى , إنه لها
... ما دام نائما على سريرها , فلماذا لا
تبقيه معها ولها أطول فترة ممكنة؟

أنسحبت بهدوء الى القاعة الصغيرة المحاذية
لغرفتها , حيث جلست تشرب القهوة
الطيبة... وتفكر , ستدعه ينام ويرتاح حتى
الفجر , وتذهب اليه عندئذ لتوقظه كي
يذهب الى غرفته , هذا هو الحل السليم ,
ولكنها متعبة جدا وتشعر بنعاس شديد , لم
تكن الكنبه الصغيرة مغرية للنوم , فأهنت
قهوتها وعادت الى غرفتها , ترددت بضع
لحظات قبل أن تستلقي قربه بهدوء وروية
مخافة إيقاظه أو أزعاجه , وضعت رأسها على

الوسادة وأبتسمت سيكون كئيبا وفي
حالة يرثى لها عندما يستيقظ في الصباح ,
ويكتشف أنهما ناما مع في سرير واحد بمثل
هذه العفة والبراءة.

أستيقظت دوناً فجأة وشعرت على الفور بأن
ذراعا قوية تطوقها , أحست بدفء جسمه ,
فظلت مستلقية بسرور تنعم بقربها منه , ثم
تجمد الدم في عروقها عندما سمعت سيرافينا
تقول :

" صورتكما معا على هذا الشكل

جميلة جدا... .. الشعر الأشقر على الصدر

الأسمر... .. كأنكما في مشهد من فيلم

عاطفي!".

حاولت دوناً النهوض ، ولكن الذراع القوية

شدت عليها ومنعتها من التحرك وكأنها تقول

لها أنه مستيقظ... .. وأنه سمع كدمات

سيرافينا ، جذب ذراعه بهدوء وجلس في

السريير قائلاً:

" أعرف ماذا تظنين الآن أيتها الحبيبة إلا أنه
لم يحدث بيننا أي شيء على الإطلاق , أنت
تعرفيني بما فيه الكفاية كي تصدقي بأنني لا
يمكن أبدا أن أحاول أغراء هذه الفتاة ,
وخاصة في بيتك ! "

" هل أعرفك حقا يا ريك؟ "

جلست دوناً في سريرها وأبعدت نفسها عن
ريك , أنه لها وها هي للآن , كما في كل آن
, تأتي لأعادته الى قيودها , أرتجف جسمها
عندما حوّلت سيراфина عينيها الخضراوين اليها

وأخذت تتأملها , لم تقدر دونا على أخفاء
شعورها بالذنب , أنها هي التي ارتكبت هذا
الخطأ لم توقظه أرادت أن تنام
قربه..... أن تنعم بوجوده معها وقربها ,
وماذا حدث ؟ جعلته يبدو أمام سيرافينا
رجلا متهورا يقفز من سرير الى آخر , مع أنه
كان دائما طيبا وشريفا .
" لا تلومي ريك يا سيرافينا , كان متعبا جدا
بعد ولادة المهر , فنام على سريري ,
أنا..... أنا....."

" هل تحببناه , يا دونا؟".

لم يكن هــوؤها متوقعا , كانت دونا تنتظر
غضبا عارما وأظافر تنقض بوحشية على
عينها , تصوّرت كل شيء إلا هذا الهدوء في
نبرات صوتها , لم يعد بإمكانها أخفاء الحقيقة
, فقالت :

" نعم , يا سيرافينا , أنني أحبه من صميم
قلبي , ولكنني أعرف أنه لك وأنه لم يخنك
أبدا في أي وقت من الأوقات.....".

" كان ريك دائما قويا في مجالات عدّة ,
يحيث يبدو الرجال الآخرون ضعفاء أمامه".

تنهّدت سيرافينا ثم علت شفيتها إبتسامة
خفيفة , وهي تنحني فوقه وتضم وجهه بين
يديها وتقبله على جبينه , ثم قالت ,
وكأنها تلقي قبلة مدمرة:

" كان ريك دائما أفضل الأصدقاء , لولاه
لأنتهت حياتي منذ فترة طويلة , رباه , ماذا
فعلت بك أيها الحبيب الغالي ! أحتفظت بك

بكب أنانية حقيرة ووضعت رغباتي دوما في
المرتبة الأولى متجاهلة رغباتك أنت ,
ومتصوّرة فعلا أنك كذلك الفارس الحجري
الأسود في حديقة منزلي..... يمكنك أن
تمضي حياتك كلها دونما أي حاجة كي تحب
كرجل وليس كأخ ! حبيبي ريكاردو , كيف
تمكّنت طوال هذه الفترة ألا تكرهني؟".
سمعت دوننا تلك الكلمات وهي مصابة
بذهول لا يصدق , أطلقت صرخة خفيفة ,
فأستدار نحوها ريك وضمّها بقوة الى صدره:

" أنها الحقيقة يا دونا , سيرافينا هي أختي ,
ولكن ما من أحد خارج هذه الغرفة يعرف
ذلك . "

نظرت دونا بعينين زائغتين مذهولتين الى
سيرافينا , وقالت:

" ولكن لماذا ؟ أني لا أفهم . "

" لا يمكن إلا لقليل من الناس أن يفهموا
ذلك , يجب أن يكونوا من صقلية , وعانوا
كما عانينا أنا وريك طوال هذه السنوات ,
كي يفهموا ذلك , كيف يمكنني أن أخبرك

الآن... عن العذاب والرعب , والرغبة
القوية في الموت... التي منعتني ريك من
تنفيذها ! حملني الى الراهبات فأعتنين بي...
أتى الأشرار الفاسقون الى المزرعة وقتلوا أمنا
ثم أعتدوا عليّ... أعتدوا عليّ , يا دونا
!"

أبعد ريك ذراعه برفق وحنان عن دونا , وقام
نحو أخته بسرعة ليضمها بعطف ومحبة ويضع
رأسها على كتفه القوية , لاحظت دونا
بوضوح تصرفه مع أخته الجميلة المعذبة , رآته

كيف يضمها اليه ويحميها , كان دائما يهتم
بها ويرعاها وتذكرت دوننا بخجل أنها لم
تشاهده مرة يتصرف معها كرفيق أو حبيب ,
لم يترك سيرافينا , ولكنه نظر الى دوننا وقال
لها:

" لا أحد يعرف أننا رجل وشقيقته , وأن
سيرافينا كانت في مستهل عمرها ابنة عائلة
لورديتي التي أعتدى عليها رجال المافيا ,
تمكنا طوال سنوات من أخفاء هذه الحقيقة ,
حتى تصل النجمة اللامعة الى ما وصلت من

النجاح والشهرة , لم نضر أحدا بذلك , ولم
أهتم أنا أبدا بأن بعض الناس يعتبرونني
حارسها الخاص ورفيقها الذي يعيش معها
بسبب ثروتها , لم تكن هناك أبدا فتاة أجمل
من سيرا , وهو الأسم الذي كنا نطلقه عليها
آنذاك , أتى أربعة رجال في أحد الأيام الى
المزرعة , فيما كنت أصطاد الأرناب , ولما
عدت , وجدت أمي مقتولة وأختي تتمرغ في
الوحل وهي تحاول تنظيف نفسها مما حل بها
على أيديهم القدرة المتوحشة , كادوا

يقتلونها..... أختي الحبيبة التي لم تتجاوز
الخامسة عشرة من عمرها , تمت الموت
وأرادته بقوة , ولكنها كانت كل ما بقي لدي
, حملتها الى الراهبات فأعتنين بها... الى أن
ولد الصبي! ".

أمتقع لون دونا وصرخت بألم وحزن شديدين

:

" رباه ! ما هذا ! " .

" يعرف أدوني بأنه ابن غير شرعي , ولكنه لا

يعرف أن أباه هو أحد القتلة في عصابة

المافيا.... الذي تميت دائما أن يكون
الشخص الذي تخلصت منه بالطريقة القديمة
, الانتقام والثأر , تم اعتقال الثلاثة الآخرين
, ولكن الرابع تمكن من الإفلات....
فأقسمت على ملاحقته وقتله , فعلت ذلك
, كنت أعرف أنه قتل , حتى قبل أن يهوي
ويرتطم رأسه بالأرض , من المتعارف عليه هنا
أن الثأر ضروري في بعض الحارات , ولكننا
نرفض فكرة الأجهاض , وكان علينا بالتالي

أن نقبل بطفل سيرا بالرغم من الطريقة التي
فرضت عليها قسرا وعنوة".

تنهّد ريك بأسى بالغ ثم مضى الى القول:
" أنا نعرف منذ زمن بعيد أنه قد تظهر في
أدوني صفات لا تعجبنا ولكن ماذا
يمكننا أن تفعل . إنه ابن أختي , بغض النظر
عمّت يكون أبوه أو الفساد الذي أورثه
أياه".

إبن أخته وهمت دوننا أخيرا لماذا
كانت ترى الشبه القوي بينهما , ريك هو

شقيق سيرافينا , التي تعيش السنوات الطويلة
الماضية بخوف وذعر من أشباح الماضي
والذكريات الرهيبة , تعلقت كثيرا بأخيها
وأعتمدت على قوته وأخلاصه , لدرجة أنها
لم تعد قادرة على الحياة بعيدة عنه , وتذكرت
دونا ما قاله لها والدها عن ضرورة احترامها
للفروسية والتضحية لأنهما أصبحتا
نادرين في هذا العصر المادي الأناني , وإذا
كانت أحبّت ريك قبل اطلاعها على هذه
الحادثة المروعة وما تلاها من تفاصيل مذهلة

, فإنها أصبحت الآن تحبه وتعشقه وتحترمه
بشكل لا يصدق , وسمعت فارسها الحبيب

يتابع سرده قائلا :

" بعد ولادة أدوني , اخترعنا قصة زواج
سيرافينا من رجل كهل وذلك كيلا
تواجه أي مصاعب وهي في صعودها نحو
الشهرة , كانت سيرا تريد أن تصبح ممثلة
شهيرة , تم لها ما أرادت , كان في ذلك بعض
التعويض عن مطابها الأليم".

" وأنت يا أخي الحبيب , ماذا حدث لك ؟
ومن سيعوّض عليك خسارتك الفادحة ؟
كنت أنانية للغاية , أعتقد أنه إذا كان
بإمكاني أن أعيش دون حب , فبإمكانك
أنت أيضا أن تعيش كناسك متعبّد , أعرف
أنه مرّت في حياتك لحظات عابرة , ولكنك
هذه المرة..... وجدت ضالتك المنشودة في
هذه الشابة الشقراء! "

" تفهم دونا الوضع على "

" هل تفهمه حقا ؟ لاحظت منذ بعض الوقت أن جاذبية تجمع بينكما , ولكنني تصوّرت أنها ستخف تدريجيا وتزول , ولكنني شاهدتكما بين أذرع بعضكما , كطفلين ضائعين في غابة , تبين لي فورا أن الموضوع جدّي جدا هذه المرة.. كنت تطوّق هذه الفتاة الصغيرة وكأنها أعلى شيء في حياتك".

سمعت سيرافينا صوت بكاء تحاول دونا السيطرة عليه , فداعبت وجه شقيقها

وقالت:

" لقد نلت جائزتك , يا فارسي العظيم ,
كنت معي أفضل الأشقاء وأحسنهم ,
وأخذت من حياتك سنوات طويلة عندما
جعلتك حارسا ضد الليل والذكريات , يجب
أن تتزوج دونا وأن ترزقا أطفالا , قلة من
الناس تعرف مدى الرقة والنعومة اللتين
تستعلان في داخلك , ولكن يجب عليك ألا
تخفيهما بعد الآن , وإلا بردتا وأنطفأت
منهما الشعلة الجميلة".

أستدارت نحو دونا وطلبت منها الأقتراب ,
ثم أخذت يدها ووضعتها في يد ريك قائلة:
" أني أسلمك شقيقي يا دونا هديسون ,
أحببه , أحببه بقلبك وجسمك وروحك
..... لأنه أحد أعظم رجال صقلية".
ضغط ريك على يد دونا بسعادة بالغة ,
ولكن عينيه كانتا تتأملان وجه سيرافينا
وملامحها , تذكر أنه طالبها مرة بحريته ,
فحاولت أخته قتل نفسها , سألتها بهدوء:

" هل تقولين لي أن بإمكانني الزواج من د=ونا
؟ ولكن ماذا ستفعلين أنت , يا سيرا؟".

إبتسمت فجأة ثم أخرجت ورقة من جيبها

وقالت:

" أنا ذاهبة الى روما , أيها الحبيب , معي هنا
برقية عاجلة من أيليورينالدو الذي أخرج قبل
عام تقريبا الفيلم المشهور (العلاقة الحميمة)
, أنا أعرف بماذا تفكر الآن يا ريك , ولكنني
أم منذ أكثر من ربع قرن... وسأصبح جدّة

عما قريب ، بأذن الله ، سيتزوج أدوني تلك
الفتاة ، حتى ولو كان ذلك رغما عنه !".
تأملت دوننا كثيرا لأن ريك كان يضغط بعنف
على يدها ، ولكنها تحمّلت الألم بسهولة
فائقة ، لأنها كانت في قمة سعادتها وذرورة
سرورها ، وسمعتة يقول لأخته ، بعد أن
أكدت له مرارا بأنها ستعود الى السينما :
" أني أريد الزواج من دوننا أكثر من أي
شيء آخر في حياتي ، أحببتها منذ اللحظة

الأولى التي رأيتها فيها , وسوف تشرفني كثيرا
فيما لو بادلتني الحب ."

" تشرفك يا ريك ؟ أخي العزيز , أنا متأكدة
من أن دونا تعرف أنها هي التي تحظى بشرف
حبك لها , سأذهب الآن للاتصال برينالدو
..... لا تتأخر كثيرا في غرفة دونا , وإلا

فإن الخدام سيثربثرون ."

غادرت الغرفة وكأنها تمثل الدور النهائي في
مسرحية عاطفية قديمة , تنهد ريك وقال

لحيبته الشابة:

" لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا , ستغير
رأيها وستبكي , وأنا لم أتمكن أبدا من مقاومة
دموعها , أنني أريدك يا دونا , أريدك من
صميم قلبي ! هل تصدقين ذلك؟".
" بكل جوارحي".

" أريد أن أتأكد من أن سيرافينا لم تمثل أمامنا
قبل قليل أي دور مسرحي , لن أغفر لنفسي
أبدا أن أحقق سعادتي على حساب تعاستها
وأحزانها..... حاولت قبل الآن أن تنتحر".

" أعرف يا ريك , شاهدت آثار الجروح في
معصمها".

" إنك فتاة طيبة وحكيمة , ولا تتقدمين بأي
مطالب , مع أن لك كل الحق في ذلك ,
تعرفين أنني أحبك , وإلى درجة اليأس ,
بإمكانك أن تطالبي بأن أضعك في المرتبة
الأولى قبل أختي , ولكنك لا تفعلين ذلك ".
ردت عليه بهدوء وبراءة:

" لم يتعرض جسمي للتمزيق والأعتداء ,
وأحلامي للعذاب والأهتبار , مثلما تعرضت

سيرا فينا , مجرد معرفتي بك أمر رائع
وفكرة وجودي بين ذراعيك تطير قلبي فرحا
وسرورا , ولكن إذا لم يكن بالأمكان....".
" أريد أن أعرف بالتأكيد".

قفز نحوها ثم رفعها عن السرير وطوّقها بين
ذراعيه وعانقها طويلا , ثم قال:
" يجب أن أتحدث مع سيرا على أفراد ,
ستكونين بخير , أليس كذلك يا حياتي؟".
" طبعاً".

أبتسمت له ولكن قلبها كان خائفا , لا يمكن
لسيرافينا أن تفتح لهما باب السعادة ثم تغلقه
في وجهيهما لا يمكنها أن تكون قاسية
الى هذه الدرجة , تركها وأغلق الباب وراءه
بقوة , رمت بنفسها على السرير وتمددت
على الجزء الذي أستخدمه ريك طوال الليل
, هل يعقل أن تطلعها سيرافينا على مثل هذه
الأسرار الرهيبة , لو لم تكن مصممة على
تحرير ريك من قيوده ؟ حتى أدوني نفسه لم
يكن يعرف العلاقة الحقيقية بين ريك وأمه.

قررت فجأة الذهاب الى الأسطبل للأطمئنان
على كونتيسا ومهرها الجميل , وما أن بدأت
بتدليل دومينو الصغير , حتى سمعت صوتا
يناديها , ألتفتت الى الورااء , فشاهدت ريك
واقفا بقامته الطويلة الممشوقة وتعلو وجهه
أجمل أبتسامة شاهدتها في حياتها , ركضت
نحوه ورمت بنفسها بين ذراعيه , اللتين
ضممتها بقوة وحنان ورفعتها عن الأرض.

" نجمع سيرافينا الآن أغراضها وتوضب
حاجياتها , إنها ذاهبة الى روما , ويبدو أنها
متلهفة للغاية " .

" ولكن.....ألن تكون متوترة الأعصاب
, يا ريك ؟ أعتمدت عليك كثيرا طوال
السنوات الماضية و.....ولديها ذلك
الخوف الشديد من أمكانية مهاجمتها
والأعتداء عليها " .

" وعدها رينالدو بأرسال طائرة مروحية
خاصة بالشركة , ويبدو أنهم يستخدمون

محترفين حقيقيين لحماية نجومهم , أعتقد أنها ,
بمشاهدتها لنا معا , شعرت بأنها قادرة على
التصرف بمفردها , أنها تعرف أنني أحبك
كثيرا , وأني سأضعك في المقام الأول .. نعم
, يا حياتي , في المقام الأول وقبل أي شخص
آخر على الإطلاق , سيرا هي أختي التي
أحبها كثيرا , ولكنك أنت حياتي وروحي
ومستقبلي .
" أوه , ريك , ريك " .

لم تتمكن من إيجاد كلمات تعبر فيها عن
حقيقة مشاعرها , فراحت تعانقه بفرح مجنون

" سأعد الترتيبات اللازمة لنعقد قراننا بسرعة

وهدوء , وسنحضر عرس أسونتا كرجل

وزوجته".

" هل تحبين ذلك؟".

" من كل قلبي , يا ريك يا حبيبي".

" أحمد الخالق عزّ وجل , يا فتاتي الطيبة ,
على أننا لم نضطر هذه المرة للأفتراق عن
بعضنا".

" سنظل معا الى الأبد ."

إبتسمت دونا وتذكرت تلك الليلة التاريخية
في روما حيث ألتقت وأحبت فارس أحلامها
الأسمر الذي يضع خاتم الثأر والانتقام
في أذنه , لمست الخاتم بأصبعها , وهي تعلم
أن ريك لن يتمكن أبدا من طرد الذكريات
الأليمة والرهيبة من رأسه وقلبه بصورة تامة ,

ولكنها تعهدت له بصمت بأنها ستتملاً
حاضره ومستقبله حبا..... وسعادة....
وعاطفة.

مكتبة رواية

www.rivaya.ga

قناة روايات عبر على تيليجرام

<https://t.me/aabiirr>

تمت